الركن الخامس من أركان عقيدة المؤمن

الإيمان باليوم الآخر

تعريف:

ما المراد باليوم الآخر؟

إن المراد من اليوم الآخر أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء هذه الحياة بكاملها، والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها. فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الثانية ؛ إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة، فالإيمان باليوم الآخر مقتض للتصديق بأخبار اللّه تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا، وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أحوال واختلاف أحوال، كما هو مقتض كذلك لتصديق اللّه تعالى في إخباره عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب، وما يجرى فيها من أمور عظام، كبعث الخلائق، وحشرهم، وحسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية الاختيارية التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا.

إمكان الفناء:

هل الفناء ممكن ؟

والجواب: نعم. الفناء ممكن ؛ لأن العالم ليس أزلياً أبداً، وما لم يكن أزلياً فهو حادث، وما كان حادثاً فالفناء من صفاته اللازمة له، والتي لا تنفك عنه بحال، وطروء الفناء على الحادثات مُشاهَد في هذه الحياة لا يحتاج إلى دليل. إنه قد ثبت بالبراهين العقلية والمادية معاً حدوث العالم، إن التغير الجاري والمستمر على العوالم دالٌّ على حدوثها، وإن حدوثها دالٌّ على فنائها، كما إن قانون الطاقة المتاحة ـ وهي نظرية علمية في غاية الصحة ـ قد أثبتت حدوث العالم، وبالتالي قد أثبتت وجود اللّه تعالى الأزلي الموجد لكل موجود، وكما أثبتت حدوث العالم أثبتت إمكان فنائه أيضاً ؛ إذ حقيقة هذا القانون العلمي الهائل هي أن الحرارة تنتقل دائماً من وجود حراري إلى آخر غير حراري، واستمرار هذه العملية سيترتب عليها أن تتساوى حرارة جميع الموجودات، وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل؛ فتنتهي العمليات الكيماوية الطبيعية، وعندها تنتهي الحياة تلقائياً، وبهذا بطلت أزلية العالم أي قِدَمُه اللاابتدائي ؛ إذ لو كان أزلياً لفقد طاقته منذ زمان بعيد وانتهت بذلك الحياة.

وثبت أيضاً إمكان فنائه اللازم له، والذي هو في طريقه إليه، لأن عملية انتقال الطاقة من الأجسام الحرارية إلى خلافها مستمرة، ولابد أن يأتي عليها يوم تتساوى فيه حرارة جميع الأجسام، وعندها تتوقف العمليات الكيماوية الطبيعية، وتنتهي الحياة، ويعم الفناءُ هذا الكون كله.

ودليل آخر: أن العالم كلٌّ له أجزاء، ونحن نشاهد الفناء يجرى فى أجزائه باستمرار. فالإنسان كالحيوان كالنبات كلها تفنى أمامنا، وتحت سمعنا وبصرنا وتفقد وجودها باستمرار ودون انقطاع، وهى قَطْعاً أجزاء من هذا العالم، كما أننا نرى الزلزال من الفينة إلى الفينة يدمر مدناً وقرى كبيرة، ويغير معالم الأرض فى كثير من البلاد فى العالم، فظاهرة الفناء هذه لأجزاء العالم دالة على فناء العالم كله ؛ إذ ما أمكن الفناء فى أجزائه أمكن فناه كله.

وبناء على هذا فاليوم الآخر ممكن الوقوع وهو مرتقب جداً ومنتظر أنبائه، وهو اليوم الذى لا يأتى بعده يوم من أيام هذه الحياة، وذلك لخراب العالم وفنائه.

إمكان المعاد:

هل المعاد ممكن ؟

ولِمَ لا يكون ممكناً وإثباته لا يوجب أى تناقض عقلى أبداً، وكل ما لا يُوجب تصورُ وقوعه تناقضاً عقلياً فهو من قبيل الجائز الإمكان.

وهل تصور وقوع الحياة بعد فنائها كما كانت وأفضل مما كانت يوجب تناقضاً عقلياً ؟ وإذا كان الجواب: لا، أبداً. فالمعاد إذاً وهو بعث الخلائق أحياء بعد فنائهم الذى طرأ على حياتهم الأولى ممكن وجائز.

وشىء آخر وهو إذا كان المعاد غير مستحيل ولا واجب ؛ إذ المستحيل ما أوجب تصور وقوعه تناقضاً عقلياً كتصور وقوع الشىء موجوداً غير موجود، والواجب ما أوجب عدم تصور وقوعه تناقضاً عقلياً كتصور وجود مصنوع بدون صانع، أو مخلوق بدون خالق، أو معلول بدون علته، فهو ـ أى المعاد ـ إذاً ممكن جائز، وهكذا ثبت بالقياس العقلى، والبرهان المنطقى إمكان البعث وجواز وقوعه.

أدلة البعث(1)

لقد سلك القرآن الكريم فى إثبات المعاد والحياة الثانية مسالك عقلية هى غاية فى الوضوح والسهولة منها:

• أن الشىء إذا لم يكن ثم كان وأعدم كانت إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أعدمه وأفناه. فالذى بنى داراً، ثم هدمها لا يستحيل عليه ولا فى حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيراً مما كانت.

(1) البعث والمعاد واليوم الآخر ألفاظ مختلفة ومدلولها واحد، وهو وجود حياة ثانية بعد فناء الأولى.

والذى يصنع آلة من الآلات مخترعاً لها لا يستصعب عليه أن يُعيدها كما كانت إذا هو كسرها بإرادته واختياره ؛ ليحولها إلى آلة أفضل منها قبلُ، ورد هذا المسلك من الاستدلال فى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الروم:27). وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: 79). وقوله: ﴿ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (يس: 78).

● الاستدلال بنوم الإنسان والحيوان واستيقاظهما، فالنوم يعتبر موتاً مصغراً، والاستيقاظ يعتبر حياة مصغرة أيضاً، فكما تتم عملية النوم للإنسان والحيوان، وعملية الاستيقاظ لهما تتم عملية الموت والحياة الكاملة لهما. جاء هذا الاستدلال فى قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:60).

● الاستدلال بالأرض الميتة بسبب المَحْل، والجدب، والقحط حيث تنعدم فيها الحياة تماماً، ثم ينزل بها الغيث، أو تسقى بالماء فتعود إليها كما كانت وخيراً مما كانت نماء وازدهاراً. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت:39). وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحج:5، 6).

● الاستدلال بالقدرة الكافية التى بها خُلق آدم من تراب، وذريته من نطفة على إمكان المعاد والبعث وتقرير وقوعهما، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ (الحج: 5).

● الاستدلال بالقدرة على خلق العوالم على إمكان إعادة حياة الناس بعد موتهم، وفناء أجسامهم، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر:57). وقال عز وجل: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٢٩ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۝٣١ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۝٣٢ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ (النازعات:27 ـ 33). وقال تعالى ـ رداً على من قال: ﴿ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ

الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس:78-81).

• الاستدلال باختلاف سلوك الناس فى هذه الحياة بالخير والشر والصلاح والفساد على وجود حياة أخرى يُجزى فيها كل عامل بما عمل من خير وشر ؛ لعدم استكمال المجازاة فى هذه الحياة، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: 185). وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (يونس: 4). وقال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (1) ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ (الليل: 4 ـ 11).

• الاستدلال بالتكاليف الشرعية على وجود حياة أخرى يتم فيها الجزاء على القيام بتلك التكاليف، وعلى تركها وإهمالها ؛ إذ لم يتوفر جزاء كاف فى هذه الحياة الدنيا على تلك التكاليف قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك: 1، 2). وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا (2) وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: 115). وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى(3)﴾ (القيامة: 36).

أدلة أخرى:

1 ـ شعور كل أفراد البشر فى جميع العصور والدهور ـ وسواء منهم المتحضرون، أو المتبدون ـ شعور الجميع بوجود حياة ثانية يلقى فيها الإنسان جزاء عمله الذى قام به فى هذه الحياة الدنيا من خير أو شر وصلاح وفساد، هذا الشعور العام دال على وجود المعاد والحياة الثانية ؛ إذ لا يمكن أن يعم هذا الشعور كل أفراد البشر ولا يكون له حقيقة فى نفس الأمر، ولا صورة له فى الخارج، وهو شعور كشعور الإنسان بالحاجة إلى الطعام والشراب الذى دل بوجوده وعمومه على وجود غذاء للإنسان لجوعه وماء لعطشه.

---

(1) شتى: متنوع ومختلف.

(2) عبثاً: أى لا نأمركم ولا ننهاكم، إذ فعل الأمر وترك المنهى هو العبادة التى خُلق الإنسان من أجلها.

(3) سدى: أى مهملاً لا يؤمر ولا ينُهى ولا يبعث ليحاسب ويجزى.

2 ـ ما تأكد لدى الناس اليوم من مناجاة الأرواح. ومخاطبتها ورؤيتها ـ دال على أن وراء هذه الحياة المادية حياة أخرى روحية وجثمانية(1).

3 ـ رؤى الناس المتعددة التى واكبت الحياة الإنسانية ولم يخل منها زمان ولا مكان، هذه الرؤى لأموات الناس فى المنام، والحديث معهم، ومعرفة أحوالهم وسؤالهم، وإخبار الأموات من رآهم فى منامه بأمور غيبية فتكون طبق ما أخبروا به دلالة قطعية على الحياة الثانية.

آخر الأدلة:

وآخر الأدلة وأعظمها على البعث، والجزاء، والحياة الآخرة أخبار الله تعالى، وأخبار رسوله ﷺ إن من آمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله لا يجد داعياً للشك، ولا مثاراً للجدل والنزاع فى ثبوت المعاد، وكل ما يتم فيه من حساب وجزاء ؛ إذ أخبار الله تعالى كلها صدق وحق، فقد أخبر تعالى بآلاف الأخبار فلم تكن إلا وفق ما أخبر، كما أخبر رسوله بآلاف الأخبار فلم يتخلف منها خبر واحد عن مدلوله، فكيف يُعقل إذاً أن يخبر الله تعالى ويخبر رسوله بمئات الأخبار عن ثبوت الحياة الثانية، وعن كل ما يجرى فيها من بعث، وحساب، وجزاء، ثم لا يصح شىء من ذلك ولا يثبت ؟ اللهم إن هذا باطل لا يصح، ومحال لا يُقبل ولا يعقل.

إن حتمية الفناء ووجود معاد كامل، وحياة أفضل تحوى نعيماً للمحسنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وجحيماً للمسيئين الذين أشركوا وعملوا السيئات مما أخبر الله تعالى به، وقرره فى كل كتبه، وعلى ألسنة جميع رسله فالشك فيه ضرب من المرض العقلى والهبوط الشخصى، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

الحكمة من المعاد:

إن الحكمة من المعاد الأخروى الذى هو بعث الخلائق أحياء بعد موتهم وفنائهم، أحياء كما كانوا يوم بدأ الله تعالى خلقهم، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادى الاختيارى الذى كسبوه فى هذه الدنيا ؛ لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ (آل عمران:185).

فالناس يعيشون فى هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتاً كبيراً فى أرزاقهم، وآجالهم،

(1) أصحاب هذه الفكرة يعتقدون أنهم يناجون أرواح البشر، والحق أنها أرواح لبعض الجن والشياطين، وليست أرواح من مات من البشر، وذكرنا هذا لما فيه من إثبات عالم الغيب وحياة روحية تخالف هذه الحياة المادية.

وأعمالهم، وفى سعادتهم، وشقائهم، فمنهم الظالم الغشوم، ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغنى الثرى، ومنهم الفقير الشقى، ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، ومنهم المحسن، ومنهم المسىء، إلى غير هذا من التفاوت والاختلاف، فلو أنهم يموتون بانقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منافياً للحكمة، مجانباً للعدل والرحمة، ومن هنا قضى اللّه تبارك وتعالى بالبعث والجزاء، وحكم بهما، فهما كائنان لا محالة، فقد أمر رسوله محمداً ﷺ أن يقسم عليهما فى قوله: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن:7). وقال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (النحل:38-40).

وجوب الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر هو عبارة عن التصديق الجازم بانقلاب هائل يتم فى الكون، ويكون انتهاء هذه الحياة الدنيا بكاملها، وابتداء حياة أخرى، وهى الدار الآخرة بكل ما فيها من حقائق مدهشة، من بعث الخلائق وحشرهم، وحسابهم، ومجازاتهم.

هذا الإيمان ليس واجباً فحسب بل هو أحد أركان ستة عليها تبنى عقيدة المؤمن، فلا تتم إذاً عقيدته إلا به، ولا تصح إلا عليه، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (البقرة: 177).

ولأهمية هذا المعتقد فى حياة المؤمن، ولآثاره الكبرى فى استقامة الفرد وصلاحه عُنى القرآن الكريم به عناية لا تقل عن العناية بالإيمان باللّه سبحانه وتعالى، فقد ذكره فى عشرات السور منه، وفى مئات الآيات: مرة بوصفه والحديث عنه، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة:13-37).

ومرة تقريره وتأكيد مجيئه، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج:6، 7) وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن:7).

ومرة بتعليق الاستقامة على الإيمان به، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (الطلاق:2). وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ (الأحزاب:21).

ومرة بإثبات الهداية والفلاح للموقنين به، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: 4، 5).

ومما يؤكد أهمية هذا المعتقد، ويجعله كالصمام لحياة الاستقامة والطهر، والخير هو ذكره مقروناً بالإيمان باللّه تعالى، وذلك كقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:62). وكقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (الطلاق:2). وقوله تعالى: ﴿وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (النساء:38). وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (النور:2). في عدة آيات من كتاب اللّه تعالى.

فدلت هذه العناية القرآنية بهذين الركنين من أركان الإيمان على أنهما قوام حياة الروح، وعليهما مدار استقامة المرء في هذه الحياة، وأن الإيمان بدونهما ليس شيئاً، وأن من عدمهما قد عدم كل خير، وأن من افتقدهما فقد افتقد كل عناصر الخير والفضيلة في نفسه وأصبح من شر البرية.

وبالجملة فإن معتقد الإيمان باللّه واليوم الآخر هو رأس كل عقيدة، وأساس كل إيمان، وعليه مدار استقامة الإنسان، وصلاح خُلقه، وطهارة روحه، وبدونه فالإنسان مخلوق لا خير فيه لا لنفسه، ولا لغيره، وهو شر كله، لا يُؤمَن جانبُه، ولا يُطمأن إليه، ولا تسكن النفوس عنده، وذلك لما انعدم عنده، من أصول الخير وينابيع الفضيلة والكمال البشرى.

ظواهر الانقلاب الكونى

أو أشراط الساعة

إن لكل كائن حى كالإنسان والحيوان، أو نامٍ كالأشجار والنباتات علامات تظهر له عند دنو أجله، وقرب ساعة هلاكه.

فالإنسان يشيب ويهرم، ويمرض ويضعف، ويكون ذلك علامة دنو أجله، وقرب ساعة موته، والحيوان فى غالب أحواله كالإنسان يعتريه الهرم والضعف، وينتابه المرض ؛ فتخور قواه، وتنحلّ بنيته ويهلك، والنبات كالزرع مثلاً يصفر ويبس، ثم يَذوى، ويسقط ويبيد.

هذه أجزاء من الكون يسبق هلاكَها وفناءها علاماتٌ، تؤذن بقرب ذلك، والكون وهو كلٌّ له (حتماً) علامات تدل على قرب فنائه، ووقت دماره وخرابه، قد جاء الوحى الإلهى بذكر تلك العلامات وبيانها، ونبَّهت الرسل عليها، ولفتت النظر إليها ؛ تحذيراً وتعليماً، ففى القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ** ﴾ (محمد: 18).

● ومن أشراطها التى جاء الوحى بذكرها: بعثة النبى محمد ﷺ، وانشقاق القمر آية له عليه الصلاة والسلام، أما بعثته ﷺ: فقد كانت شرطاً من أشراط الساعة ؛ لأن نبوته ختم اللّه تعالى بها سائر النبوات، فلا نبى بعده، وهذا إيذان بقرب نهاية الحياة حيث لم تتطلب الفترة المتبقية من عمر الحياة لقصر زمنها، لم تتطلب تجديد التشريع ببعثة أنبياء آخرين ؛ ولذا قال الرسول ﷺ فى الصحيحين: «**بُعثتُ أنا والساعة كهاتين**» وأشارَ إلى أصبعيه السبابة والوسطى وقرنَ بينَهُما[1].

● وأما انشقاق القمر: فقد كان شرطاً من أشراط الساعة ؛ لأن اللّه تعالى ذَكَرَهُ مقروناً بالإخبار باقتراب الساعة، فقال تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ** ﴾ (القمر:1-3).

وقد انشق القمر فعلاً على عهد النبى ﷺ، حيث طلبت منه قريش آية تدل على نبوته فدعا اللّه، فانشق القمر فلقتين على جبل أبى قبيس على مرأى من أهل مكة، وهم ينظرون إليه[2].

ونزيد هذه الحقيقة توضيحاً فنقول: إن اللّه تعالى ما زال يبعث بالأنبياء ويرسل بالرسل لهداية

---

(1) متفق عليه بمعناه. اللؤلؤ والمرجان (3/ 314)، البخارى (6/ 206)، ومسلم (8/ 208، 209).

(2) جاء هذا فى حديث متفق عليه كما تقدم. اللؤلؤ والمرجان (3/ 208)، والبخارى (4/ 251)، ومسلم (8/ 132، 153).

الناس، وإصلاحهم، وإعدادهم للكمال الذى خُلقوا له فى الدنيا والآخرة حتى ختم الرسالات برسالة نبيه محمد ﷺ، وأتم الشرائع بشريعته، وجعله خاتم الأنبياء، وأخبر أنه لا نبى بعده، فدل ذلك على أن الوقت الباقى من عمر هذه الدنيا قصير، وأن الرسالة الأخيرة تُتَمّمها إصلاحاً وهداية، فلا يحتاج معها البشر إلى وحى جديد، وإلى رسالة ناسخة أو مجددة للشرائع والأحكام، كما كانت الحال قبل هذه الرسالة الختامية، ولهذا كانت بعثته ﷺ علامة من علامات قرب الساعة، وانتهاء هذه الحياة الدنيا.

● ومن الظواهر الكونية الخارقة للعادة التى ستظهر وتكون علامات الساعة وأشراطاً لها ما جاء فى الوحى الإلهى (القرآن الكريم) من نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض حكماً عدلاً، فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ (الزخرف: 61). وذلك بعد الحديث عنه فى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف: 57 ـ 61).

● ومن تلك الظواهر أيضاً ظهور دابة عجيبة الخلق، تخرج إلى الناس، فتكلمهم، فيفتنون بها أيما افتتان، فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: 82).

● ومنها انكسار سد يأجوج ومأجوج، وخروج تلك الأمة المفسدة المدمرة لتعيث فى الأرض فساداً وتروع الناس أيما ترويع؛ إذ جاء قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء: 96، 97).

هذا فى الكتاب، و أما فى السنة وهى من وحى الله فقد أخرج مسلم من رواية حذيفة بن أسيد الغفارى رضي الله عنه قال: «اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكرُ الساعةَ. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشرَ آيات**»، فذكرَ الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس منْ مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وَخسف بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»(١).

(١) مسلم (8/ 179).

وهذه من علامات الساعة الكبرى، وستسبقها علامات صغرى وهى كثيرة جداً، وقد ظهر منها من يوم الإخبار بها إلى الآن عدد كبير، وقبل ذكر بعضها ننبه إلى أن العلامات الكبرى إذا ظهرت آية منها تتابعت حتى لكأنها خرزات فى خيط، متى سقطت واحدة تتابع باقى الخرزات حتى تسقط عن آخرها فى زمن وجيز محدود وبرهة من الزمن قصيرة ـ كما أن العلامات الكبرى أولها ظهوراً طلوع الشمس من مغربها، لحديث مسلم فى «أن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً»(1).

هذا ولنعلم هنا أن هذه العلامات الكبرى إذا ظهرت منها علامة أغلق باب التوبة على الناس، فلم يقبل إيمان عبد بعدها لم يكن قد آمن من قبل، كما لم يقبل منه خير لم يقدمه قبل رؤية الآية وظهورها ؛ وذلك لقول الله تعالى من سورة الأنعام: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً** ﴾ (2)، وهذا جدول بالآيات الصغرى ما ظهر منها حتى الآن وما لم يظهر منها بعد، نقدمه كما ورد عن رسول الله ﷺ.

1 ـ قوله ﷺ فى رواية الصحيحين: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة**»(3)، هذه العلامة قد ظهرت كما أخبر بها رسول الله ﷺ ؛ إذ المراد من الفئتين علىّ ومن معه، ومعاوية ومن معه رضي الله عنهم أجمعين، والمقتلة العظيمة كانت بصفين.

2 ـ قوله ﷺ فى رواية مسلم: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل القتل**»(4). وقد ظهرت هذه العلامة فعلاً فإن الحروب التى تقع فى هذه الظروف قتلاها لا يعدون بالعشرات ولا بالمئات، ولا حتى بالألوف بل بعشرات الألوف ومئاتها، فى حين أن قتلى حروب الإسلام الأولى التى كانت على عهد رسول الله ﷺ ـ والتى دامت زهاء

---

(1) مسلم (8/ 202).

(2) الآية (158)، وروى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**» (1/ 95، 96)، وروى البخارى: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً**» (7/ 132)، واللؤلؤ والمرجان (1/ 31).

(3) اللفظ لمسلم (8/ 170)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 303)، والبخارى (4/ 243).

(4) مسلم (8/ 170، 171).

عشر سنوات ـ لم تتجاوز ألفين وخمسمائة قتيل حسب إحصائية وثيقة ذكرها غير واحد»[1].

3 ـ قوله ﷺ فى رواية الصحيحين عن أبى هريرة: «**لا تقوم الساعة حتى ينحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه**»[2]، هذه العلامة لم تظهر بعد.

4 ـ قوله ﷺ فى صحيح مسلم: «منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم .. الحديث»[3].

وهذه العلامة قد ظهرت كاملة، فقد ذهبت الخلافة الإسلامية منذ زمن واستقل أهل العراق بعراقهم، وأهل الشام بشامهم، وأهل مصر بمصرهم، وانقطع ما كان يأتى أهل الحجاز من تلك البلاد من خراج وغيره، وعاد الأمر فى الحجاز كما كان قبل فتح تلك البلاد، وفى هذا الحديث آية من أعظم الآيات على صدق نبوة محمد ﷺ، وثبوت رسالته ؛ إذ أخبر بهذا الغيب والإسلام لم يتجاوز أرض الجزيرة العربية، فأخبر بأن العراق والشام ومصر ستفتح وتكون دار إسلام، ويأتى منها الخير الكثير لأهل الحجاز ثم بعد ذلك يطرأ عليها ما يجعلها تمنع ما كانت تعطيه لأهل الحجاز، فتم كل ذلك حرفياً، ولم يتخلف منه شىء قط، فصلى اللّه وسلم على محمد نبى اللّه ورسوله صدقاً وحقاً. وياالخيبة من كفر به، ولم يتبعه فيما جاء به.

5 ـ قوله ﷺ فى الصحيحين: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى**»[4]. وقد ظهرت هذه العلامة كما أخبر ﷺ ؛ فقد احترقت الحرة الشرقية من المدينة النبوية، واستمرت النار ملتهبة فيها مدة طويلة، ولهبها يرى من بصرى الشام، وما زالت حجارتها سوداء محترقة كالفحم إلى الآن، وكان ظهور هذه النار ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة من عام (654هـ).

6 ـ قوله ﷺ فى الصحيحين: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة، وكانت صنماً تعبدها دوس فى الجاهلية بتبالة**»[5]. وقد ظهرت هذه العلامة وفق إخباره ﷺ، فقد عادت الجاهلية إلى أرض الجزيرة قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه فعبدت الأشجار والأحجار، وانتشر ذلك فى شتى بلاد العالم الإسلامى فذبحت

---

(1) لقد سمعت هذا واستقيته من أخينا الشيخ أبى الحسن الندوى، وأكده لى مسنداً له بسند لا يتطرق إليه الشك.

(2) اللفظ لمسلم (8/ 114)، اللؤلؤ والمرجان (3/ 305)، والبخارى (9/ 73)، وللحديث تتمة.

(3) مسلم (8/ 175).

(4) اللؤلؤ والمرجان (3/ 305)، والبخارى (9/ 73)، ومسلم (8/ 180).

(5) متفق عليه. واللفظ لمسلم (8/ 182)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 306)، والبخارى (9/ 73).

الذبائح، وأوقدت الشموع، ونذرت النذور للمزارات والأضرحة والقبور بصورة عجيبة، وعلى مرأى ومسمع من كثير من علماء المسلمين ولا حول ولا قوة إلا باللّه، وفى هذا الخبر النبوى الشريف والذى تم طبق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ ردٌّ على الذين يزعمون أن هذه الأمة لا يقع بينها الشرك، ولا يوجد بينها من يعمل به مستدلين بقوله ﷺ: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب**».(1)

وفاتهم أن يفهموا أن يأس الشيطان ليس حجة فى عدم وجود الشرك فى الأمة الإسلامية، إن الشيطان يئس من أن يُعبد فى الجزيرة العربية لما رأى أعلام التوحيد منشورة على ربوعها، وأهل كلمة التقوى الذين هم أحق بها وأهلها من أصحاب رسول اللّه ﷺ يملأون كل أجوائها وأرجائها تهليلاً وتكبيراً، وتحميداً وتسبيحاً فيئس اللعين، ولكن ما إن ذهب ذلك الجيل الذى رباه القائد الأعظم محمد ﷺ وما تلاه من أجيال، وجاءت أجيال أخرى لم تذق طعم تلك التربية النبوية، ولم تعرف بحق هدى اللّه الذى جاء به رسوله ﷺ، فخالط أعمالها الشرك، وداخل بعض معتقداتها الزيغ والضلال حتى ذهب عن الشيطان يأسه الأول، وعاد إليه الأمل المفقود، وما زال يُحسّن لكثير من أفراد الإسلام الشرك والعمل به ،حتى أصبح الشرك أكثر فشواً فى الأمة من التوحيد، وكفى بالواقع شاهداً على ما نقول ودليلاً، وصدق اللّه العظيم إذ يقول: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ (يوسف: 106).

7 ـ قوله ﷺ فى الصحيحين: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**»(2). وهذه العلامة لم تظهر بعد.

8 ـ قوله ﷺ فى الصحيحين: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد اللّه هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»(3).

وقد بدت بوادر هذه العلامة تلوح فى الأفق، فقد قاتل العرب المسلمون اليهود فى عدة معارك فى أرض فلسطين، وسوف يستمر قتالهم لهم حتى يكتب اللّه النصر للمسلمين، ويستأصلوا اليهود من أرض القدس نهائياً.

---

(1) رواه مسلم (8/ 138)، وله تتمة، ورواه الترمذى بلفظ: «**ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد فى بلادكم هذه أبداً، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم وسيرضى بها**» «كتاب البر» «باب 25» وأحمد (2/ 368، 3/ 313، 354، 366، 384، 5/ 73). والترمذى فى الفتن أيضاً باب (2).

(2) اللؤلؤ والمرجان (3/ 307)، ومسلم (8/ 183)، والبخارى (9/ 73).

(3) متفق عليه. واللفظ لمسلم (8/ 188)، والبخارى (4/ 51)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 308).

9 ـ قوله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم: يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[1] وقد أخذت هذه العلامة في الظهور، ووقع لعدد كثير من الناس ما حمله هذا الخبر النبوي الصادق.

آيات قريبة جداً من قيام الساعة

هذه بعض آيات أخرى تدل على قرب الساعة، ولكنها قريبة جداً من قيام الساعة، ولذا لم يظهر منها شيء بعد، وهي:

1 ـ في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا ! فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[2].

2 ـ في قوله ﷺ في الصحيحين: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة[3] فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلوط[4] حوضه فما يصدر حتى تقوم»[5].

3 ـ في قوله ﷺ في الصحيحين: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص[6]، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»[7].

4 ـ في قوله ﷺ في صحيح مسلم: «إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه ـ قال أبو علقمة ـ مثقال حبة من إيمان إلا قبضته»[8].

---

(1) مسلم (1/ 76).

(2) (1/ 95)، وروى البخاري «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» (4/ 204، 205) واللؤلؤ والمرجان (1/ 31)، ومسلم (1/ 94).

(3) اللقحة: الناقة ذات اللبن.

(4) لاط الحوض يلوطه إذا مدره بالطين لئلا ينشف الماء، وهذا اللفظ يروى بألفاظ أخرى: يلط، ويليط.

(5) اللفظ لمسلم (8/ 310)، وللبخاري معناه (9/ 74).

(6) القلاص: واحدها القلوص وهي الشابة من الإبل، الطويلة القوائم.

(7) متفق عليه، واللفظ لمسلم (1/ 94)، واللؤلؤ والمرجان (1/ 31)، والبخاري (3/ 101، 102)، بمعناه.

(8) صحيح مسلم (1/ 76).

5 ـ في قوله ﷺ في صحيح مسلم أيضاً: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس». (1)

(بداية الانقلاب الحقيقي)

إذا أذن الله جل جلاله وعظم سلطانه بانقراض الكون وانتهاء هذه الحياة الأولى، أمر ملكاً يدعى إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة واحدة للفناء، فينفخ نفخة، فيصاب الكون كله بخلخلة عنيفة فتنحل بها كل الروابط التي كانت تربط بين أجزاء الكون، فترتج الأرض رجاً عنيفاً، وتتزلزل زلزالاً مروعاً(2)، وتندك مع جبالها دكاً، فتصير هباء منبثاً.

وتصاب السماء بانفطار عظيم يبطل معه قانون الجاذبية المعروف الآن، فتتناثر الكواكب، وتنكدر الشمس، ويذهب ضوء الكل، ويفقد الجميع كيانه، فتنصهر تلك الأجرام السماوية بجميع مجراتها فإذا هي كالنحاس المذاب تماماً(3)، وإذا العالم كله سديم وبخار كما كان قبل وجوده وخلق الله تعالى له.

تنبيه:

ولننبه هنا إلى أن كل هذا الذي ذكرناه من ظواهر الانقلاب الكوني لقيام الساعة لم يكن مُسْتقى من مجرد النظريات الكونية، ولا مستقى من تقولات الناس وتنبؤاتهم، ولا من تكهنات المعنيين بمثل هذه الأحداث الكونية، وإنما هو الحق اليقين الثابت بالوحي الإلهي، الواصل بواسطة جبريل الروح الأمين المنزل على قلب سيد المرسلين محمد ﷺ.

وها هي ذي آيات الله رب الكون وخالقه تنطق بكل ما سيجري فيه وعليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج:1،2). وقال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ

---

(1) (8/ 208) ورواه البخاري بلفظ: «من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء» (9/ 61)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 314).

(2) أما الإنسان الذي يزعم أنه سيد هذا الكون، ولم يبرح يتطاول ويتعالى حتى على خالقه جل وعلا فإنه عندما يشاهد هذه الأهوال بعينه. ويسمع دويها بأذنيه، يفقد كل رشده، وتخف أحلامه، ويطير لبه، ويفقد صوابه حتى يصبح كالفراش في حمقه، وقلة تعقله هائجاً مائجاً سكران من شدة الفزع والهول، وما هو بسكران، مراضعه عما ترضع ذاهلة، وحوامله لما في بطنها واضعة.

(3) مصداقه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ (المعارج:8)، وقوله: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن:37).

كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (القارعة: 1 ـ 5). وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾ (المعارج: 8 ـ 15). وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ (الزلزلة: 1 ـ 3).

وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار: 1 ـ 3). وقال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: 1ـ 6). وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا﴾ (الواقعة: 1 ـ 6).

نشوء الحياة الثانية
بعد انتهاء الأولى

إنه لا مجال للعقل البشرى فى معرفة الحياة الثانية وإدراكها، ولا فى بدء نشأتها، وكيفية وجودها، وكل ما فى الأمر أن العقل البشرى يجيز ولا يحيل وجود حياة كهذه الحياة، أو أرقى منها بالقياس إلى هذه الحياة، إذ القدرة الفاعلة المختارة التى كان بها هذا الكون ووجدت بها هذه الحياة فى إمكانها عقلاً أن تُحدث كوناً وحياة أرقى وأفضل من الكون السابق والحياة المتقدمة.

وبناء على هذا فإن نشأة الحياة الثانية مرد معرفتها إلى إخبار الله تعالى فى كتبه وإخبار رسله عليهم الصلاة والسلام، وأن مجمل ما عرفناه عن نشوء الحياة الثانية هو: أنه بعد فناء العالم بنفخة إسرافيل نفخة الفناء، كما تقدم آنفاً[1] ـ وبعد مضى أربعين سنة لا ندرى هل أيامها وشهورها مقدرة بأيام حياتنا هذه أو بأيام وشهور أخرى لا تخضع للنظام الشمسى الذى كانت به أيامنا وأعوامنا هذه؟؟ بعد مضى هذا الزمن ينزل من السماء ماء، فتنبت الأجسام تحت الأرض كما ينبت البقل، وذلك بواسطة تفاعل الماء مع بذرة الحياة التى هى عبارة عن عُظيم صغير يوجد فى آخر فقرات الظهر من كل إنسان وجد فى هذه الحياة الدنيا ويسمى عَجب

(1) فى ص (198)، فصل: بداية الانقلاب الحقيقى.

الذنب، فإذا تم الخلق، واكتمل النمو، وأصبحت الأجسام هياكل تامة التكوين تحت الأرض لا ينقصها إلا أن تحلها الأرواح، فتدب فيها الحياة وتتحرك وتقوم، أرسل اللّه الخالق سبحانه وتعالى الأرواح التى قبضها ملك الموت يوم وفاة كل إنسان فى هذه الحياة، وأودعت فى مستودعات بعضها فى العالم العلوى وهى الأرواح الطاهرة الطيبة نتيجة إيمان صاحبها، وعمله الصالح وتركه الشرك والمعاصى، وبعضها فى العالم السفلى وهى الأرواح الخبيثة نتيجة كفر صاحبها وارتكاب الجرائم والآثام. فتدخل تلك الأرواح الآتية من مستودعاتها الأجسام التى هُيئت لها فتحيا، ثم ينادى منادى اللّه تبارك وتعالى: أن قوموا لربكم، فتسمع وتجيب، وتنشق الأرض عنهم بسرعة ويقومون من قبورهم أحياء للحشر بعد أن تم النشر.

وهذه المعلومات اليقينية التى سقناها، وكشفنا بها عن كيفية المعاد وبدء الحياة الثانية، وطريقة نشوئها ـ جاءت بها آيات قرآنية وصحَّت بها سنن نبوته لا مجال أبداً لإنكارها، أو الشك فيها. وها نحن نوردها مجملين لها فيما يلى:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: 13 ـ 18).

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق: 41 ـ 44).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر: 6 ـ 8).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (المعارج: 43 ـ 44).

وقال تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 51 ـ 52).

وقال رسول اللّه ﷺ فى حديث البخارى ومسلم واللفظ له: «ما بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون

سنة ؟ قال: أبيت، ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(1).

الحشر
والموقف الصعب في عرصات القيامة

ما هو الحشر:

إن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة، وذلك لفصل القضاء، وهو الحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم، فالناس إذا بُعثوا من قبورهم أحياء، حفاة، عراة، غُرلاً، كما بدأ الله تعالى خلقهم أولاً يعيده ثانياً، قال تعالى: ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ (الأنبياء:104).

وقال الرسول ﷺ في الصحيحين: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد**»(2)، وقال في الصحيحين أيضاً: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**»(3) قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ﷺ: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(4). ويحشر الكافرون على وجوههم ؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** ﴾ (الإسراء:97-98).

وقيل للرسول ﷺ: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟**»(5).

وتُدنى الشمس في ذلك اليوم من رؤوس الخلائق حتى تكون قريبة منهم جداً، فتشتد

---

(1) لم يجزم أبو هريرة راوي الحديث بتفسير لفظ الأربعين هل هو أربعون يوماً، أو شهراً، أو عاماً، غير أنه ورد في رواية أخرى مفسراً بلفظ (سنة) قاله النووي في شرحه على مسلم (5/ 813)، طبعة الشعب تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو زينة. والحديث في اللؤلؤ والمرجان (3/ 315)، والبخاري (6/ 158، 205)، ومسلم (8/ 210).

(2) اللفظ لمسلم (8/ 127)، والبخاري (8/ 135)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 275)، ومعنى عفراء بيضاء تميل إلى الحمرة قليلاً، وقرصة النقي الخبز الأبيض السالم من الغش، النقي من النخالة..

(3) الغرل جمع أغرل وهو من لم يختتن.

(4) اللفظ لمسلم (8/ 156)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 294)، والبخاري (8/ 136).

(5) متفق عليه، واللفظ لمسلم (8/ 135)، والبخاري (6/ 137)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 282).

الحرارة فى الموقف، ويعرق الناس لذلك حتى يذهب العرق سبعين ذراعاً، فقد جاء بهذا الحديث الصحيح، ففى مسلم عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه[1]، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» قال: وأشار رسول اللّه ﷺ بيده إلى فيه[2].

فصل القضاء والشفاعة فيه

ما هو فصل القضاء ؟

إن المراد من فصل القضاء هو أن الناس لما يحشرون إلى ربهم، ويبلغ العناء منهم مبلغاً عظيماً، وذلك من شدة الهول، وصعوبة الموقف، يرغبون فى أن يحكم اللّه تعالى فيهم أو بينهم بما هو أهله، وبما هم متهيئون له بحسب طهارة أرواحهم، أو خبثها، فيريحهم من شدة الموقف وأتعابه، ومصداق هذا فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: 11 ـ 15). كما فى قوله عز وجل: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: 35 ـ 40).

ولما يطول موقفهم ويعظم كربهم يقول بعضهم لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ فيأتون آدم ليشفع لهم عند اللّه تعالى، فيعتذر لهم ويقول: «إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى!! اذهبوا إلى غيرى، فيأتون المرسلين واحداً واحداً نوحاً، فإبراهيم، فموسى، فعيسى فيعتذر الكل، ويقول نفسى نفسى !! حتى ينتهوا إلى خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد ﷺ فيقول: أنا لها فيأتى ربهُ فيخرُّ ساجداً تحتَ العرش، ويلهمهُ ربهُ تعالى محامداً يحمده بها، فلا يزال كذلك حتى يقول له الرب تبارك وتعالى: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيرفع رأسه ويقول: يا رب أمتى. فيقال له: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب

(1) الحَقو بفتح الحاء والجمع حقاء كبناء هو الخصر، أو الإزار لأنه يشد على الحقو.
(2) مسلم (8/ 158).

الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب[1]»، ويجرى بعد ذلك القضاء مجراه فتعطى الكتب، وتوضع الموازين، ويحاسب الناس.

الحساب والميزان

إن الحساب يدور على محتويات الكتب التى يعطاها كل فرد من أفراد الناس فى ساحة فصل القضاء، ويقرؤها كل واحد من أهل الموقف، وسواء من كان يقرأ منهم ومن لم يكن يقرأ، ويختلف إعطاؤهم تلك الكتب، وتلقيهم لها ؛ إذ منهم من يعطى كتابه بيمينه ومن أمامه، ومنهم من يعطى كتابه بشماله ومن وراء ظهره، وبمجرد إلقاء نظرة على محتوى الكتاب يعلم صاحبه بمصيره، ويعلن على الفور عن فوزه وفرحه وسروره، أو عن خيبته وحزنه وخسرانه، قال تعالى فى بيان هذا وتقريره: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا** ﴾ (الانشقاق:7-12). وقوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ** ﴾ (الحاقة: 19 ـ 37).

وبينما هم كذلك ؛ إذ توضع الموازين القسط، ويتقدم الناس واحداً واحداً للحساب، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً وهو العرض الذى قال الرسول ﷺ فيه لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «**من حوسب يوم القيامة عذب**» فقلت: أليس الله عز وجل يقول: ﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ (الانشقاق: 8).

فقال لها: «**ليس ذاك الحساب إنما قال العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**»[2].

---

(1) كل هذا الذى ذكرنا من بيان الموقف والشفاعة ثابت فى الصحيحين، وقد تقدم فى مبحث الشفاعة من هذا الباب فليرجع إليه.

(2) متفق عليه، واللفظ لمسلم (8/ 164)، اللؤلؤ والمرجان (3/ 299)، والبخارى (1/ 39).

ومنهم من يحاسب حساباً عسيراً، يستنطق الفرد، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، فإن أجاب بالصدق والحق فبها ونعمت، وإن حاول الكذب أو الكتمان فإنه يختم على فمه، وتستنطق جوارحه، فتنطق بالذى عمل فى دنياه، ولا تخفى شيئاً، فيلومها على نطقها وشهادتها عليه، فيكون ردها عليه بقولها الذى حكاه القرآن الكريم: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت:21). وقال تعالى فى بيان هذه الحقيقة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور:24). وقال تعالى فى ذلك: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس:65).

ويجرى هذا الاستجواب والاستنطاق فى جو رهيب للغاية ؛ إذ تقوم فيه الأشهاد، ولا يؤذن للمرء فى الاعتذار فيعتذر، ولا تقبل من ظالم معذرة، وتعرض الأعمال عرضاً حياً ناطقاً، فيرى المرء عمله وهو يباشره ويا للفضيحة !! قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة:6 ـ 8).

ثم توضع الموازين العادلة ذات الدقة المتناهية، وتحصر الأعمال فلا يترك منها عمل وإن قل ودق، فتوضع فى موازين العدل، وتوزن، وبحسب نتيجة الوزن تكون السعادة، أو يكون الشقاء. قال تعالى فى بيان هذه الحقيقة: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:47).

وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۝١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (المؤمنون:102-105).

الصراط

وأخيراً الصراط:

إنه بعد وزن الأعمال والفراغ منها، وبيان السعيد من الشقى فى الجملة، يضطر الناس إلى المرور على الصراط، وهو جسر دقيق منصوب على ظهر جهنم وهى عقبة كأداء فى طريق الذاهبين إلى دار السلام، وممر خطير للغاية يشهد لخطورته أن الرسول ﷺ يقف على جنباته

والناس يمرون، وهو يدعو: «**رب سلم سلم**»(1). ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم فى الدنيا، فمنهم من يمر بسرعة مدهشة حتى لكأنه البرق الخاطف، ومنهم من يمر دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولو حبواً على يديه وركبتيه، ويهلك من يهلك بسقوطه فى جهنم دار الشقاء، والهوان، والبوار، والخسران.

وقد وصف رسول الله ﷺ الصراط فى معرض حديثه عن الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذى وعده به ربه تبارك وتعالى فى قوله: ﴿ **عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ (الإسراء: 79).

فقال ﷺ: «**فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق**» قال: قلت بأبى أنت وأمى أى شىء كمر البرق ؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجرى بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس فى النار**»(2)

* * *

(1) رواه مسلم (1/ 129-130)، وفى البخارى الحديث عن القيامة والصراط «**وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم**» (1/ 193، 194)، واللؤلؤ والمرجان (42-44)، ومسلم بلفظ: «**ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم**» (1/ 112، 114).

(2) أخرجه مسلم (1/ 129، 130).

القنطرة بين الجنة والنار

هل هناك قنطرة بعد الصراط ؟

نعم: إنه بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط بسلام وأمان من الوقوع فى النار يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، لتهذيبهم وتطهيرهم من كل ما كان بينهم من عداوات أو شحناء، أو حقوقهم لبعضهم على بعض، ثم بعد ذلك يؤذن لهم بدخول الجنة فيدخلون، وقد روى حديث القنطرة هذه الإمام أبو عبد الله البخارى فى صحيحه، وهذا نصه:

«يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا»(1).

دار السلام

إن من إتمام بحث عقيدة البعث والجزاء، وتوفية هذا الركن من أركان عقيدة المؤمن حقه فى الدرس والبحث أن يخص كل من دار السلام ودار البوار(2) بعرض خاص يجلى حقيقة كل منهما بما يبعث على الرغبة فى الفوز بدار السلام، ويبتعد عن الثانية باجتناب الشرك، وترك معصية الله تعالى، ورسوله ﷺ.

ولما كان الحديث عن دار السلام شيقاً ومحبباً إلى النفوس المؤمنة، فإن الإطناب فيه أولى من الإيجاز، والإسهاب أولى من الاختصار، ومن هنا فسيكون بحثنا لهذا الجزء من ركن عقيدة المؤمن فى البحث والجزاء ضافياً، يتناول الحديث عن سعة دار السلام، وأبوابها، وأنهارها، وخدمها، ومطاعمها، ومشاربها، وسائر ألوان النعيم فيها، كما سيكون مصدر استقائنا لكل المعلومات فى حديثنا عن دار السلام هو الكتاب والسنة ؛ إذ الأول كتاب من أوجدها، وأوجد نعيمها، وخلق أهلها، وهداهم، فأعدهم لها، وعرَّفهم بها، وأما السنة فإنها أخبار من دخلها، ووطئت أقدامه أرضها، وبلغ سدرة المنتهى فيها كما قال تعالى: ﴿**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ**﴾ (النجم: 12 ـ 15).

---

(1) البخارى (8/ 138، 139، 3/ 158، 159).

(2) دار البوار: جهنم، لقوله تعالى: ﴿**وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا**﴾ (إبراهيم: 28-29).

سعة دار السلام
وطيب ريحها

ما أوسع دار المتقين !! وما أطيب ريحها !!.

إن عرضها كعرض السموات والأرض، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام ؛ إذ قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: 133).

وقال رسول اللّه ﷺ: «**إن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام**»(1).

(أبوابها)

إن للجنة دار النعيم لثمانية أبواب(2)، أحدها يسمى الريان، وهو خاص بالصائمين(3)، ومنها باب خاص بالذين لا يحاسبون من أمة محمد ﷺ (4).

وأبواب الجنة فى غاية الوسع والكبر حتى إن ما بين مصراع الباب مسيرة أربعين سنة، ومع هذا الوسع فسوف تكتظ بأفواج الداخلين معها، وتزدحم، وقد علم أن حلق تلك الأبواب مكونة من ياقوت أحمر، قائمة على صفائح من ذهب، فقد روى مسلم فى صحيحه عن الصادق المصدوق ﷺ قوله: «**إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهى كظيظ من الزحام**»(5).

وقال ﷺ وهو يحدث عن أهل الجنة: «**وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب**»(6).

---

(1) النسائى بلفظ: «**وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين سنة**» (8/ 22)، والترمذى (ديات 11) وابن ماجه (ديات/ 32)، وأحمد (2/ 171-186، 5/ 27، 50، 51)، والموطأ بلفظ: «**وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام**» (3/ 103).

(2) لحديث مسلم فى فضل التشهد بعد الوضوء (1/ 144، 145)، والبخارى (4/ 145).

(3) ورد هذا فى المتفق عليه، اللؤلؤ والمرجان (2/ 19، 20).

(4) تقدم فى حديث الشفاعة من فصل القضاء، وهو مخرج فى الصحيحين. اللؤلؤ والمرجان (1/ 49-51).

(5) مسلم فى كتاب الزهد (8/ 215).

(6) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى حديث طويل فى وصف الجنة، وصحح المنذرى وقفه على علىّ رضى الله عنه فى الترغيب والترهيب (4/ 494)، ولكنه فى حكم المرفوع، لأن مثله مما لا يقال بالرأى.

عند باب الجنة

ماذا عند باب الجنة ؟

إن عند باب الجنة شجرة عظيمة ينبع من أصلها عينان، قد خُصِّصت إحداهما لشراب الداخلين وثانيتهما لتطهيرهم، فإذا شربوا من الأولى جرت فى وجوههم نضرة النعيم فلا يبأسون أبداً، وإذا اغتسلوا من الثانية لم تشعث أشعارهم أبداً، وفى القرآن الكريم مصداق هذا قال تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان: 21).

وفى الحديث يقول الرسول ﷺ: «**وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداها جرت فى وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً**»(1).

استقبال أهل الجنة

إن دخول الجنة سيكون قطعاً فى فترات متتالية، وقد يبعد ما بين الفترة والأخرى ؛ إذ صح أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل ذوى الحظوظ بخمسمائة عام(2)، وذلك لعدم ما يستلزم وقوفهم طويلاً فى ساحة فصل القضاء، وموقف الحساب بخلاف أهل الحظ والغنى. وفى القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر: 73).

وفى الصحيحين من أخبار الرسول ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة(3)، أزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء»(4) إن هذا التفاوت بين أهل الجنة فى دخولهم وحسن هيئتهم وجمال وجوههم عائد إلى تفاوت أعمالهم فى الدنيا، فى كمياتها وكيفياتها، وهو أمر من الوضوح بحيث لا يخفى على ذى لب، ففى الدنيا تكتسب النفس البشرية حسنها وجمالها من إيمان صاحبها وأعماله الصالحة، وفى الآخرة يكتسب جمال الذات وكمال النعيم من نفس الزكاة الروحية التى كانت لها نتيجة إيمانها، وصالح أعمالها فى الحياة الدنيا.

---

(1) قال الحافظ المنذرى: «رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى وغيرهما عن عاصم بن حمزة عن علىّ موقوفاً عليه بنحوه وهو أصح وأشهر» الترغيب والترهيب (4/ 494-496).

(2) أبو داود (2/ 290).

(3) العود يتبخر به.

(4) اللفظ لمسلم (8/ 146)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 289)، والبخارى (4/ 160).

وتستقبل الملائكة وفود الرحمن عند دخولهم إلى دار السلام، وأول المستقبلين هو رضوان خازن الجنان، ثم الملائكة الموكلون بنعيم الجنة وأهله، وفى القرآن الكريم: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 103). وفيه أيضاً ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: 73)، وفيه أيضاً: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: 23 ـ 24).

قصور دار السلام وتفاضلها

نكتفى بوصف قصور دار السلام، وبيان تفاضلها بما جاء فى رسالتى «الجنة دار الأبرار والطريق الموصل إليها» إذ قلت: من الذى يقوى على وصف قصورهم، أو يحسن التعبير عن نعيمهم وسرورهم واللّه مكرمهم والمنعم عليهم يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ (الإنسان:20-22). وقلت أيضاً: إن الذى يمكن أن يحدثنا بعض الحديث عن قصور الجنة وما حوت من النعيم المقيم هو رجل واحد فقط، ذلكم هو النبى الأمى محمد رسول اللّه ﷺ؛ إذ هو الذى تشرفت دار السلام بقدومه عليها، ورؤيته لها فى هذه الحياة الدنيا يقظة مرة، ومناماً مرات أخرى، ورؤيا الأنبياء وحى، فلنستمع إليه ﷺ وهو يحدث عنها ويقول محدثاً عن آخر رجل يدخل الجنة: فيقول: يارب **ألحقنى بالناس .... فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رُفع له قصرٌ من درة، فيخر ساجداً، فيقال له: ارفع رأسك، ما لك ؟ فيقول: رأيت ربى .... فيقال له: ارفع رأسك إنما هو منزل من منازلك. قال: ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له، فيقال له: مه. فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة، فيقول له: إنما أنا خازن من خزانك، وعبد من عبيدك ... فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر، قال: وهو من درة مجوفة، سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، فيها سبعون باباً، كل باب يفضى إلى جوهرة مبطنة، كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى، فى كل جوهرة سرر، وأزواج، ووصائف، أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفاً، فيقال له: أشرف. فيشرف، فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك»** (1).

---

(1) قال الحافظ المنذرى: رواه ابن أبى الدنيا، والطبرانى، والحاكم هكذا عن ابن مسعود مرفوعاً.. وأحد طرق الطبرانى صحيح، واللفظ له، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وهو فى مسلم بنحوه باختصار عنه. الترغيب والترهيب (4/ 503-506).

هذا وأما تفاوت درجات أهل دار السلام وتفاضل ما بينهم بحسب كمال إيمانهم، وكثرة صالح أعمالهم فلنورد له الحديث الصحيح التالى ؛ إذ فيه يقول الرسول ﷺ: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب ؛ لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى، والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين**»[1].

وفى القرآن الكريم مصداق هذا فى قوله تعالى: ﴿ **سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ (الحديد: 21).

نظرة على أرض الجنة

وتحت هذا العنوان قلت فى رسالتى المشار إليها آنفاً:

«ما تظن أخى القارئ فى أرض الجنة؟

هل هى من تراب أبيض أو أحمر ؟

وهل حصباؤها من حجارة ملونة جميلة ؟

وهل جدران مبانيها من لبن فى غاية الحسن والجمال ؟

وهل الطين الذى يوضع بين اللبنات لرصفها وإحكامها من مزيج الرمل الأبيض، و (الأسمنت)[2] الأزرق الناعم ؟

اعلم أخى القارئ أنه لا يستطيع أحد أن يجيبك عن هذه التساؤلات كلها إلا أحد شاهدها، وعاش ساعة فيها كرسول الله محمد ﷺ وها هو ذا يسأله أحد أصحابه عنها فيقول له: «**إنها لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها[3] المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعمُ ولا يبأس، ويخلد لا يموت، ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم**»[4].

---

(1) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان (2/ 288)، والبخارى (4/ 145)، ومسلم (8/ 145).

(2) الأسمنت: كلمة معربة لعل عربيها الجير أو الجص أو نوع منهما يخالفهما فى القوة والشكل لا فى الماهية والذات.

(3) الملاط: الطين.

(4) رواه الترمذى (جنة/ 2)، والدارمى (رقاق/ 100)، وأحمد (1/ 305، 445)، وقال عبد القادر الأرناؤوط فى تعليقه على جامع الأصول (10/ 497)، وابن حبان فى صحيحه، والطبرانى فى الأوسط.

جنة عدن بين الجنان

لجنة عدن بين سائر الجنات ميزة خاصة لم تكن لغيرها، ألا وهى أن إيجادها تم بخلق اللّه تعالى المباشر لها ؛ إذ ثبت أن النبى ﷺ أخبر أن اللّه تعالى قد خلق جنة عدن بيده، فقد أخرج ابن أبى الدنيا والطبرانى عنه ﷺ قوله: «**خلق اللّه جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، وملاطها مسك، وحشيشها الزعفران، حصباؤها اللؤلؤ، ترابها العنبر، ثم قال لها: انطقى، قالت: قد أفلح المؤمنون ...**»(1).

تنبيه:

نحن نعلم أن اللّه تعالى هو خالق كل شىء، وليس فى الكون كله علويه وسفليه إلا خالق واحد هو اللّه رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، وليس ثَمَّ غيره أبداً.

فعندما نذكر أنه تعالى خلق كذا بيده ؛ لإخباره تعالى بذلك كما فى قوله: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ (ص:75). أو لإخبار رسوله ﷺ بذلك كما فى الحديث السابق الدال على خلق اللّه تعالى لجنة عدن بيده سبحانه وتعالى، فإننا نعنى أن هذا الخلق قد تم على خلاف سنة اللّه تعالى فى خلق الكائنات، وأن ما أخبر تعالى عنه بأنه خلقه بيده يكون له مزيد شرف ورفعة بذلك الخلق الخاص وهو الخلق المباشر.

ومن باب تقريب هذه الحقيقة إلى الأذهان نقول: إنه عندما يأمر الملك أو ذو السلطان ببناء قصر مثلاً فيبنى، فإنه يقال: بنى الملك القصر، وإن لم يباشر البناء بيده، وذلك لأن البناء قد تم بأمره، وبسبب الإمكانيات التى وضعها تحت تصرف بانيه، كما أنه إذا تناول الملك حجراً ووضعه بيده فى زاوية من زوايا جدار القصر، يقال: وضع الملك حجر الأساس بيده، ومعنى ذلك أنه باشر وضعه بيده حقاً وصدقاً وليس من باب المجاز المرسل الذى علاقته السببية فى شىء.

ومن هنا قلنا: إن خلق اللّه تعالى لآدم بيديه هو خلق مباشر، وحقيقة لا ينبغى إنكارها.

ومثل خلق آدم: خلق جنة عدن، وكل ما ورد فى الكتاب والسنة أن اللّه تعالى خلقه بيديه هو من باب الحقيقة، ولا معنى لذكر المجاز فى ذلك ولا فائدة منه.

---

(1) الترغيب والترهيب (4/ 513، 514).

الخيام والأسواق فى دار السلام

بما أن الجنة فيها ـ بإخبار الله تعالى ـ ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ولأصحابها فيها كل ما يدَّعون ويطلبون، وفيها من النعيم المقيم العظيم ما لم تره عين، أو تسمع به أذن، أو يخطر لبشر على قلب، كما جاء ذلك فى الصحيحين فى قوله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ «**أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»(1)، وفى قوله تعالى من كتابه العزيز: ﴿**يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (الزخرف: 68 ـ 72). وفى قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾ (فصلت: 30 ـ 31).

أقول بما أن الجنة حاوية لكل أوجه النعيم الروحانى والجثمانى، مشتملة على كل ضروب السعادة، وصنوف النعيم لا يستنكر أن يكون فيها خيام، ولا يستبعد أن يكون فيها أسواق ؛ إذ فى الخيام متع، وفى الأسواق سرور وحبور، وسنكتفى بعرض هذه الحقيقة، وتأكيدها بذكر كلمات قليلة جاءت فى رسالتى «**الجنة دار الأبرار**» تحت عنوان جانبى صغير:

فى الخيام ـ حيث قلت: فى الجنة خيام قَطْعاً، وكيف لا ؟ وخالقها عز وجل يقول: ﴿**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ (الرحمن:72).

والسؤال هو ما شكل تلك الخيام؟ ما نوعها؟ ما هى مادة تكوينها؟ وما مدى حسنها وجمالها؟

والإجابة الصحيحة عن هذه التساؤلات لا تتلقى إلا من فم النبوة الطاهر برهاناً ساطعاً، وحقاً قاطعاً؛ إذ يقول فداه أبى وأمى: «**إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها**

(1) رواه مسلم (8/ 143). والبخارى (4/ 143)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 286).

(فى السماء) ستون ميلاً (وعرضها ستون ميلاً)، **للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا»**[1].

وقلت: ومن الخيام إلى السوق، سبحان الله ؟ ! وهل فى الجنة أسواق ؟ وكيف لا يكون ذلك والله تعالى يقول لعباده من أهل الإيمان والاستقامة: ﴿ **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ** ﴾ (فصلت: 31).

إنه ليس من المستغرب أبداً أن تتوق نفس المؤمن فى الجنة إلى دخول سوق من الأسواق وخاصة المؤمنين الذين تعودوا الضرب فى الأسواق، والأرباح الطائلة، كعبد الرحمن بن عوف ﷺ وأمثاله ممن كانوا يتعاطون التجارة فى صدق وأمانة، ويربحون أعظم الأرباح، فقد تتوق نفس أحدهم إلى ذلك وهو فى دار السلام فيطلبه ويدعيه فيخلق الله تعالى لهم أسواقاً يدخلونها إتماماً للإنعام فى دار السلام.

وهذا مسلم يخرّج لنا حديث السوق فى الجنة فيقول: إن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً**»[2].

* * *

(1) رواه مسلم (8/ 148، 149)، وأما ما بين القوسين من الزيادات فهى فى مسلم أيضاً فى نفس الموضع ولكنها من أحاديث أخرى، ورواه البخارى أيضاً فى بدء الخلق باب صفة الجنة (4/ 143)، راجع اللؤلؤ والمرجان (3/ 289).

(2) مسلم (8/ 145).

أنهار الجنة وأشجارها

تحت هذا العنوان من رسالة «الجنة دار الأبرار» قلت: يا أخى القارئ هات يدك نتجول قليلاً بين أنهار الجنة وتحت أشجارها، ونمتع النفس ساعة قبل يوم الساعة !

هيا بنا إلى ذلك النعيم المقيم، هيا بنا إلى الأنهار الأربعة التى هى أصل كل أنهار الجنة، إنها نهر الماء، ونهر اللبن، ونهر الخمر، ونهر العسل كما جاء فى قول اللّه عز وجل: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾ (محمد:15).

إن من بين هذه الأنهار العظيمة نهر الكوثر، وما أدراك ما الكوثر ؟!

إن اللّه سبحانه وتعالى خص به نبينا محمداً ﷺ وأمته، وهو أعظم أنهار الجنة، وأحسنها، جاء الوعد به فى كتاب اللّه تعالى القرآن الكريم حيث قال: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ (الكوثر: 1، 2).

ولنستمع إلى صاحبه ﷺ يصفه لنا فنمتع سمعنا بذلك، روى البخارى عنه ﷺ مرفوعاً قوله: «**بينما أنا أسير فى الجنة ؛ إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هو الكوثر الذى أعطاك ربك. قال: فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر**»(1) كما روى الترمذى بسند صحيح عنه ﷺ قوله: «الكوثر نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج»(2).

قلت: ومن الأنهار إلى الأشجار. فلنصغ إلى البخارى يروى لنا طرفاً من أخبار الأشجار، فإنه أصح رواية، وأدق عبارة فى هذا الشأن. قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرأوا إن شئتم: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾**(3) (الواقعة:30 ـ 34).

ويحدث ابن عباس عن هذا الظل فيقول: «الظل الممدود» شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها، فيخرج أهل الجنة ـ أهل الغرف وغيرهم ـ فيتحدثون فى ظلها، فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل اللّه تعالى ريحاً من الجنة فتحرك

---

(1) البخارى (8/ 149).

(2) ذكر هذين الحديثين المنذرى فى الترغيب الترهيب (4/ 517)، راجع الترمذى (6/ 84).

(3) رواه البخارى فى (6/ 183)، ومسلم فى (8/ 144)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 287)، وراجع الترمذى (7/ 209).

تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا[1]. ويقول: «نخل الجنة جذعها من زمرد خضر، وكَرَبها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم»[2].

المطاعم والمشارب فى الجنة

لقد ضل قوم من الفلاسفة والنصارى فزعموا أن نعيم الجنة روحانى بحت، لا شىء فيه من النعيم للجسم بالمرة، وهذا المعتقد خطأ محض، وباطل لا شك فى بطلانه عند من يعرف عن الله تعالى وعن رسله عليهم السلام.

وهذه حجج عقلية وسمعية نوردها على صحة هذا المعتقد الحيوى الخطير فنقول:

أولاً: إن الأرواح التى يراد لها النعيم لا يتم لها التنعم الحقيقى إلا إذا كانت حالّة فى أجسام تلائمها، وتستقر فيها، وتقوم بها، ولذا فإنه لما أريد إنعام الشهداء وتكريمهم خلق الله لأرواحهم أجساماً خاصة تلائمها فتحل فيها، فتم لها التنعم بما أعد لها من نعيم طيلة حياتها فى البرزخ، فقد أخبر الرسول ﷺ: «**أن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة، وتأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش**»[3]، ومصداق هذا فى قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (آل عمران: 169، 170).

وثانياً: أن القدرة الكافية التى خلقت الإنسان اليوم ورزقه، وخلقت له ضروباً من النعيم الدنيوى -كأطيب المطاعم، وألذ المشارب، وأجمل الملابس، وأحسن المساكن، وأفره المراكب- قادرة على إيجاد ذلك فى الملكوت الأعلى وتوفيره بصورة أجل وأكرم.

وثالثاً: تفضيل الحياة الدنيا (التى وجدت على أساس الفناء) على الآخرة (التى وجدت على أساس البقاء) وتفضيل ما يفنى على ما يبقى مردود عقلاً، ومن هنا كان من غير المعقول أن يكون النعيم فى الحياة الدنيا جثمانياً روحياً ينال الجسم والروح معاً مع أن الدار دار كدر، وتنغيص، وفناء، كل ما فيها وجد على مبدأ الزمان المؤقت، والأجل المعدود، ويكون النعيم فى الآخرة وهى الحياة

---

(1) رواه الترمذى وحسنه، الترغيب والترهيب (4/ 520).

(2) رواه الحاكم وصححه، وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب (4/ 523)، والحاكم (2/ 76)، إلا أن فى الحاكم لفظ: «كرانيفها» بدل «كربها» وكلاهما بمعنى: أصل السعفة الغليظة العريضة.

(3) معنى الحديث مخرج فى الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبى (2/ 297، 298)، وقد رواه مسلم بقريب من هذا اللفظ (6/ 38، 39).

الباقية الخالدة روحياً بحتاً لا وجود للأجسام، ولا علاقة للأرواح بها، فى حين أن الحياة فى البرزخ وهو الفترة ما بين موت الإنسان إلى يوم أن يبعث لم تنقطع فيها علاقة الروح بالجسد، وإن فنى وكان تراباً، إذ سيبقى للروح تعلق بالقبر كامل، فيكون القبر لها أشبه بمحطة اللاسلكى متى أرادت الاتصال به اتصلت، ولهذا ورد أن الميت إذا سلم عليه زائره فى قبره عرفه ورد عليه السلام. (1)

هذا وكل ما ذكرنا من هذه الأدلة العقلية على أن النعيم فى الآخرة جثمانياً روحياً معاً ليس بشىء إلى جانب الأدلة السمعية الدينية الشرعية التى هى أخبار الله تعالى، وأخبار رسوله ﷺ، إذ لا أعلم بالخلق من الخالق، ولا من الرائى بما رأى وشاهد. فالله تعالى يقول مخبراً عما سينعم به على عباده المسلمين الذين آمنوا وكانوا يتقون: ﴿ **يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ (الزخرف: 68 ـ 73).

والرسول ﷺ يحدث عن نعيم أهل الجنة، ويصفه كما رآه وعرفه فيقول: «**أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون**». قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جُشاءٌ ورشحٌ كرشح المسك، يُلهمُون التسبيح والتحميد كما تُلهمُون النفس**»(2). ويقول: «**إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرةُ آلاف خادم، مع كُل خادم صحفتان: واحدة من ذهب، والأخرى من فضة، فى كُلٍّ واحدةَ لونٌ ليس فى الأخرى مثلهُ، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها، يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل ما يجد لأولها، ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون**». (3)

وما ذكرناه لم يَعدُ أن يكون شاهداً فقط، وإلا فإن هناك عشرات الآيات، والأحاديث الصحاح تصرِّح بنعيم أهل الجنة، وأنه روحانى جثمانى، وأنه ليس مقصوراً على المطاعم والمشارب بل يتعداه إلى لبس الحلل، والتحلى بالحلىِّ، والجلوس على الأرائك، والتمتع بالنساء والطرب، وركوب الخيل، والزيارات الكريمة، واللقاءات الحبيبة.

---

(1) ورد هذا فى الحديث الذى صححه ابن عبد البر عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما من رجل يمر بقبر الرجل الذى كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام**» عن أضواء البيان (6/ 426).

(2) رواه مسلم (8/ 147)، وفى البخارى معناه (4/ 43).

(3) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى، قال المنذرى: رواته ثقات. الترغيب والترهيب (4/ 508).

وهذه أخبار الله تعالى، وأخبار رسوله ﷺ تتحدث بذلك فلنستمع إليها وهى تقول عن الحلى والحلل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الحج: 23 ـ 24).

وعن الأرائك والأسرّة:

تقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ (الواقعة: 10 ـ 16). وتقول: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ (الإنسان: 12 ـ 14).

وعن النساء:

تقول: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الصافات: 48، 49).

وتقول: «ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينها ريحاً، ولأضاءت ما بينها، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها».(1)

وتقول: «لو امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملأت الأرض ريح مسك، ولذهب ضوء الشمس والقمر». (2)

وعن الطرب:

تقول: «إن فى الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لمْ تسمع الخلائقُ بمثلها يقلن:

نحن الخالدات، فلا نبيدُ.

ونحنُ الناعماتُ، فلا نبأسُ.

ونحنُ الراضياتُ، فلا نسخطُ.

طُوبى لمن كان لنا وكنا لهُ». (3)

وتقول: «إن فى الجنة نهراً طول الجنة، حافتاهُ العذارى قيامٌ متقابلاتٌ يُغنين بأحسن أصوات

---

(1) البخارى بقريب من هذا اللفظ (4/ 20-21).

(2) رواه الطبرانى والبزار وإسناده حسن. الترغيب والترهيب (4/ 523).

(3) رواه البيهقى والترمذى ووسمه بالغرابة. الترغيب والترهيب (4/ 537).

يسمعها الخلائق، حتى ما يرون فى الجنة مثلها»، قيل لأبى هريرة (راوى هذا الخبر): ما ذاك الغناء؟ قال: «إن شاء الله: التسبيح، والتحميد، والتقديس، والثناء على الرب عز وجل». (1)

وعن الخيل وركوبها:

تقول: قال عبد الرحمن بن ساعدة رضي الله عنه: كنت رجلاً أُحبُّ الخيل فقلت: يا رسول الله، هل فى الجنة خيلٌ؟ فقال: «**إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرسٌ من الياقوت له جناحان يطيرُ بك حيثُ شئت**». (2)

وتقول:

«**إن فى الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حُللٌ، ومن أسفلها خيلٌ من ذهب مسرجةٌ ملجمةٌ من دُرٍّ وياقوت، لا تروثُ ولا تبولُ، لها أجنحةٌ خطْوها مدُّ البصرِ، فيركَبُها أهل الجنة، تطيرُ بهم حيثُ شاءوا**». (3)

وعن تزاورهم:

تقول: «**إذا دخل أهل الجنة الجنةَ فيشتاقُ الإخوان بعضهم إلى بعض، فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، ويسير سرير هذا إلَى سرير هذا حتى يجتمعا جميعاً، فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيقول أحدُهُم لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: يوم كذا، فى الموضع كذا، فدعونا الله تعالى فغفر لنا**». (4)

وعن أعظم نعيم روحانى يتم لهم فى دار السلام:

تقول: «**إذا سكن أهل الجنة الجنةَ أتاهم ملكٌ يقول لهم: إن الله تعالى يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضعُ مائدةُ الخلد**» قيل: يا رسول الله، وما مائدة الخلد؟ قال: «**زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيُطعمون، ثم يكسون، فيقولون: لم يبق إلا النظر إلى وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سُجداً، فيقال: لستُم فى دار عمل إنما أنتم فى دار جزاء**»(5)، وتقول: «**بينما**

(1) رواه البيهقى موقوفاً، الترغيب والترهيب (4/ 538، 539).

(2) رواه الطبرانى ورواته ثقات. الترغيب والترهيب (4/ 545).

(3) رواه ابن أبى الدنيا وسكت عنه المنذرى. الترغيب والترهيب (5/ 544).

(4) رواه ابن أبى الدنيا والبزار وسكت عنه المنذرى الترغيب والترهيب (4/ 543).

(5) رواه أبو نعيم وسكت عنه المنذرى، وسكوت المنذرى معناه موافقة منه على سلامة الرواية. الترغيب والترهيب (4/ 546).

أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فلا يلتفتون إلى شئ مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه تعالى حتى يحتجب عنهم، وتبقى فيهم بركته ونوره».(1)

وتقول: «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير فى يديك. فيقول: هل رضيتم؟ يقولون: وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يارب وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً».(2)

دار البوار

إن دار البوار هى نار جهنم مأوى الكافرين(3)، كما أن دار السلام هى الجنة دار المؤمنين المتقين(4) وقد تقدم لنا أنه من إتمام البحث لعقيدة المؤمن فى اليوم الآخر، أو البعث والجزاء أن يخص كل من دار السلام ودار البوار بعرض خاص يجلى حقيقة كل منهما بما يبعث على الرغبة فى الفوز بدار السلام، وعلى الرهبة من دار البوار، فتطلب دار السلام بالإيمان والتقوى، وتطلب النجاة من دار البوار باجتناب الشرك، وترك المعاصى، وقد استعرضنا الجنة دار السلام استعراضاً كافياً ـ والحمد لله ـ حتى لكأن القارئ عندما يُنهى آخر خبر عنها قد رآها بأم عينه، وعاش فيها بنفسه وبدنه، وها نحن نستعرض دار البوار -أعاذنا الله منها، وزحزحنا عنها- لننجو من عذابها، ونفوز بالجنة ونعيمها فنقول: إن الحديث عن دار البوار ليس كالحديث عن دار الأبرار، فإذا حسن الإطناب فى الحديث هناك فإنه يحسن الاقتضاب فى الحديث هنا، إذ النفس تنبسط عند سماع النعيم، وترتاح له، وتلذ، وتنقبض عند سماع الشقاء، وترتاع له، وترهبه. ولذا فسنسرع فى العرض لدار البوار، ونوجز فيه ما أمكن الإيجاز على خلاف استعراضنا لدار السلام، وما فيها من نعيم مقيم، وهذا هو العرض:

---

(1) رواه ابن ماجه وغيره وسكت عنه المنذرى (4/ 553).

(2) البخارى ومسلم واللفظ له (8/ 144)، واللؤلؤ والمرجان (3/ 287)، والبخارى (8/ 142).

(3) يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (إبراهيم: 28-29).

(4) قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: 25)، وقال عز من قائل: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (الأنعام: 127).

مجئ جهنم للناس فى الموقف

وها هى ذى جهنم قد جيء بها، وبرزت للناس فى عرصات القيامة قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ (الفجر:23). وقال: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (الشعراء:91).

إن الانقلاب الكونى الذى يتم، وتتبدل فيه الأرض غير الأرض، والسموات غير السموات، ويبرز للناس فيه الله الواحد القهار، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: 48).

يُفاجأ فيه الناس من أهل الموقف بظاهرة غريبة وهى بروز جهنم لهم، ورؤيتهم لها، حيث يجاء بها تُجَرُّ بالأزمة كما تجر القاطرة، ولها تغيّظ وزفير كما قال الله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: 23، 24).

وكقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (الشعراء:91-95).

وقوله ﷺ فى الصحيح: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام، سبعون ألف ملك يجرونها»(1).

أبواب جهنم:

إن دار البوار وهى عبارة عن عالم الشقاء ذات دركات، دركة تحت الأخرى إلى نهايتها، وهى سبع تتفاوت فى شدة عذابها، أخفها عذاباً أعلاها، وأشدها أسفلها، ولكل دركة اسمها الخاص بها، وبابها الخاص، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر:43، 44). وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء:145).

وقد وردت أسماء دركات دار البوار فى القرآن الكريم، غير أنها وردت مفرقة فى عدة سور، ومذكورة فى عشرات الآيات بحسب سياق الحديث عنها، وقد يكون ترتيبها كالتالى: نار جهنم، لظى، الحطمة، السعير، سقر، الجحيم، والهاوية. هذه هى السبع الدركات، اللهم أجرنا منها، واصرف عنا عذابها ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان:65، 66).

---

(1) رواه مسلم (8/ 149)، ورواه الترمذى كتاب صفة جهنم (1).

كيف يدخلونها؟

إنه يؤتى بأهل النار يساقون إليها أفواجاً متتابعة، فوجاً بعد آخر، وزمراً متداركة زمرة بعد أخرى، وقد برّزت لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ (الزمر:71).

وما إن تراهم من مكان بعيد حتى سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، كما قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ (الفرقان:12).

ثم يخرج منها عنق فيلتهم من شاء الله أن يلتهمهم من أهل الموقف من الجبارين والمشركين، فقد جاء هذا واضحاً في رواية الترمذي، إذ يقول ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين، وتساق تلك الزمر إلى جهنم حتى إذا وصلوها وجدوا أبوابها مغلقة، فتفتح لهم، ويدفعون إليها دفعاً عنيفاً، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** (الطور:13-16).

ثم يلقون منها في أماكن ضيقة وهم مقيدون في الأصفاد، مكبلون بالسلاسل والأغلال كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (الفرقان:13)، وكما قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ (إبراهيم: 49، 50).

هذا طرف من بعض أحوال أهل النار عند دخولهم لها، ذكرناه بياناً لجانب من جوانب الحديث عن دار البوار، وسنواصل العرض والحديث في اقتضاب وإيجاز وفاء بما وعدنا والله المستعان.

عذابهم فيها وتلاومهم

وما إن تستقر تلك الجماعات الهالكة، والزمر الخاسرة في جهنم بعد أن ألقوا فيها مهانين، حقيرين، ذليلين حتى ينزل بهم عذاب نفساني أليم، مهين، ذلك هو عذاب التوبيخ، والتقريع، والتأنيب الذي يتلقونه من ملائكة العذاب الموكلين بهم مثل قولهم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (الملك:8). ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ ﴾ (الزمر:71). ﴿ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (الطور: 14). ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الطور: 16). ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (النبأ: 30).

كل هذا التوبيخ والتقريع والتأنيب جاء بيانه في كتاب الله عز وجل، وما ذكرناه قليل من كثير.

وأما تلاومهم فحدِّث ولا حرج، ويكفينا أن نصغى إلى بعض الآيات القرآنية التى سجلت تلاومهم بأمانة وصدق، فلنسمع خاشعين إلى قول الله تعالى وهو يخبر عنهم فيقول: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: 38، 39). ويقول: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سبأ: 31 ـ 33).

ويقول: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الصافات: 27 ـ 33).

ويقول: ﴿ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (ص: 55 ـ 64).

خطبة إبليس فى أهل النار

ومن أغرب ما يعرف عن أهل النار من أحوال فى غاية العجب أن يخطب فيهم إبليس خطبة من أبلغ الخطب، وأفصحها، وأشدها أثراً ووقعاً فى نفوس سامعيها -أقمأهم الله وإياه سواء الخاطب والمخطوب-، فقد يُنصب لإبليس منبر من نار فيرقاه فيخطب أهل النار عليه، فيزيدهم فى كربهم، وطول محزنهم، وشدة إبلاسهم، وذلك لما يكسبهم خطابه من الندامة الممضة، والحسرة القاتلة، وقد سجل القرآن الكريم هذه الخطبة الإبليسية فلنستمع إليها كما جاءت من سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم: 22).

درجة الحرارة فى جهنم

إن حر نار جهنم لشدته قد يصهر كل ما يُلقى فيه، وإن الاستعار والتأجج فى جهنم يزداد باستمرار، لقوله تعالى: ﴿ **مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ** ﴾ (الإسراء: 97 ـ 99).

ولهذا فلن نستطيع أن نقدر حر نار جهنم بأية نسبة من النسب التى يعرفها الناس اليوم عندما يقيسون حرارة أى جسم حرارى، سواء كان مغلياً، أو ناراً ملتهبة، بيد أننا إذا أخذنا فى اعتبارنا حديث الصحيحين والذى يقول فيه رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التى يُوقدُ بنو آدم جزءٌ من سبعين جزءاً من حرِّ جهنم. قالوا: إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: فإنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها»[1]. وإذا عرفنا درجة حرارة النار اليوم وضربناها فى النسب المذكورة فى الحديث أمكننا حينئذ أن نعرف درجة حرارة نار جهنم على وجه التقريب والمقايسة فقط.

لون نار جهنم

إننا نعرف أن النار جسم حرارى ملتهب مضىء، كما نشاهده عندما نوقد أى نار، ونضرمها لحاجتنا إليها، ولكن نار جهنم ليست معلومة عندنا، ولا يمكننا أن نعرف أى شىء عنها إلا من طريق الوحى فقط، فلو سُئلنا عن لونها لما أمكننا أن نجيب بشىء مقنع ما لم يكن لدينا وحى فنجيب له، غير أن مالكاً رحمه الله تعالى قد روى لنا فى موطئه حديثاً شريفاً صحيحاً أمكننا به أن نعرف لون نار جهنم، وأنه أسود، أشد سواداً من القار، لقوله ﷺ فى رواية مالك المشار إليها آنفاً: «أترونها ـ نار جهنم ـ حمراء كناركم هذه؟ لهى أسود من القار»[2]. ويروى لنا الترمذى فى جامعه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثُمَّ أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة**»[3]. فمن خلال هذا الوحى عرفنا لون نار جهنم، وبلغنى وأنا أكتب هذا البحث أن

(1) متفق عليه، واللفظ لمسلم (8/ 149، 150)، واللؤلؤ والمرجان (2/ 110)، والبخارى (4/ 147)، والموطأ (3/ 155-156).

(2) القار: الزفت المعروف. راجع الموطأ (3/ 156).

(3) الترمذى (صفة جهنم / الباب الثامن) وابن ماجه (الزهد/ الباب الثامن والثلاثين)، وقال الترمذى فيه: «حديث أبى هريرة فى هذا موقوف أصح» وذكره عنه المنذرى فى الترغيب والترهيب (1/ 464)، قلت: ولكن هذا الكلام مما لا مجال للرأى فيه فهو فى حكم المرفوع.

علماء الكون اليوم قد أقروا هذه الحقيقة للون النار حسب مشاهداتهم للشموس الهائلة فى هذا الفضاء الكبير والذى هو دون السماء الدنيا.

عمق جهنم وبُعْد غورها

إن جهنم وهى إحدى دركات دار البوار ليس من الممكن بغير الوحى الإلهى أن نعرف مدى عمقها، ولا بعد غورها بحال من الأحوال ؛ لأنها لا تقاس بفرن من أفران الدنيا اليوم مهما كان عظيماً، وحتى فى عصر أفران الذرة والهيدروجين، وذلك لاختلاف ما بين الدنيا والآخرة، وبُعد ما بين طبيعتهما، وللفرق الهائل الكبير بين صنع الخالق عز وجل وصنع المخلوق الضعيف.

ولكى نعرف على وجه التقريب عمق جهنم، وبُعْد غورها نورد قول رسول اللّه ﷺ «**إن الصخرة لتلقى من شفير جهنم فتهوى سبعين عاماً وما تفضى إلى قرارها**»(1). وقوله ﷺ فى صحيح مسلم من رواية أبى هريرة قال: «كنا مع رسول اللّه ﷺ إذ سمع وجبة(2)، فقال النبى ﷺ: **تدرون ما هذا ؟** قلنا: اللّه ورسوله أعلم. قال: **هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»(3). ومما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول فى خطبه: «أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامعها حديد»(4).

أودية جهنم

إن دار البوار لعالم كبير، لا يعرف له مدى ولا منتهى، غير أننا لو أردنا أن نستشف منه وسعه وكبره لأمكننا ذلك من خلال ما صح عن النبى ﷺ: «**من أن ناب الكافر فى جهنم يكون كجبل أحد الذى يزيد طوله عن خمسة أميال، وارتفاعه عن ميل كامل**»(5).

إن عالم الشقاء: ـ دار البوار ـ لاشك أنه مكون من أودية وجبال: لورود الوحى بذلك، ففى التنزيل الكريم وردت ألفاظ مقرونة بما يدل على أنها ألوان من العذاب، وفسرها فى الجملة كثير من السلف بأنها أودية فى جهنم، ومن ذلك: ﴿**الغى**﴾ فى قوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ (مريم:59). و﴿**الأثام**﴾ فى قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا**﴾ (الفرقان: 68). و ﴿**الويل**﴾ فى قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ**﴾ (المطففين: 1).

---

(1) رواه الترمذى (جهنم/ 2) وأحمد (3/ 174).
(2) صوت سقوط الحجر.
(3) مسلم (8/ 150).
(4) رواه الترمذى فى صفة جهنم، الباب الثانى.
(5) رواه مسلم بلفظ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث» (5/ 153، 154).

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (إبراهيم: 2). كما قد صح عن النبى ﷺ: «تفسير الويل بواد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»(1).

سلاسل جهنم وأغلالها

إن من لوازم العذاب الشديد عادةً السلاسل والأغلال، والكبول والأنكال(2)، حتى إنه قد لا يتصور عذاب أليم لا يغل فيه صاحبه ولا يكبل، أو لا يوضع فى سلسلة.

ومن هنا كان فى جهنم السلاسل والأغلال، والكبول والأنكال، وقد جاء ذلك وبيانه فى كتاب الله عز وجل مفرقاً فى عدة سور منه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (الإنسان: 4). وقوله: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (المزمل: 12، 13). وقوله: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (غافر: 70 ـ 72). وقوله: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (الحاقة: 30 ـ 34)(3).

وقد روى بأسانيد جياد عن كثير من السلف أن هذه السلسلة تدخل فى فم الكافر، وتخرج من دبره، فينظم فيها كما تنظم السمسمة فى الخيط، والخرزة فى السلك.

الحيات والعقارب فى جهنم

إذا كانت جهنم ـ أجارنا الله تعالى منها ـ هى دار العذاب، وعالم الشقاء، كان العذاب أنواعاً متنوعة، وصنوفاً مصنفة حتى فى عالمنا الأرضى هذا، وحياتنا الدنيا هذه، فما بالنا بعالم الشقاء، ودار البوار !! إن فيها من صنوف العذاب، وضروب الشقاء ما لم تره عين، ولم تسمعه أذن، ومن هنا فلا يستغرب أبداً وجود حيات ناهشة، ولا عقارب لاذعة مميتة فى جهنم، يعذب بنهشها ولسعها أهل دار العذاب وكيف، وقد فسر الخبر ابن عباس رضي الله عنهما، قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ (النحل: 88).

فسر زيادة العذاب بأنها عقارب تلسعهم، العقرب كالبغلة الموكفة(4). ولا يبعد أن يكون هذا

(1) رواه الترمذى (تفسير سورة الأنبياء) وأحمد (3/ 475)، والحاكم وصححه (4/ 596).

(2) الكبول: جمع كبل: القيد الشديد، وكذا النكل الذى جمعه أنكال.

(3) راجع ابن جرير الطبرى فى تفسيره (11/ 63).

(4) راجع ابن جرير فى تفسير سورة النحل (6/ 160). والموكفة: الضخمة الغزيرة اللبن.

التفسير من ابن عباس مرفوعاً إلى النبى ﷺ لاسيما وقد روى الحاكم وصححه عن النبى ﷺ قوله «**إن فى النار حيات كأمثال أعناق البخت**[1]، **تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفاً، وإن فى النار عقارب كأمثال البغال الموكفة، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها**[2] **أربعين سنة**»[3].

طعام أهل النار

هل لأهل النار من طعام ؟ وهل حياتهم تمكنهم من أن يأكلوا أو يشربوا ؟

نعم، إن لأهل النار مطاعم كثيرة ومشارب ؛ إذ الطعام والشراب من لوازم الحياة، وأهل النار أحياء فيها لا يموتون ؛ إذ لو ماتوا لاستراحوا من العناء والعذاب، ولكنهم لا يموتون كما قال تعالى: ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** ﴾ (النساء: 56).

وقد يسألون الموت بالفعل، ويطلبونه ولكن لا يستجاب لهم، جاء طلبهم الموت فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ** ﴾ (الزخرف: 77).

وقد أخبر تعالى عن عدم موتهم بقوله: ﴿ **لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا** ﴾ (فاطر: 36).

كما أخبر تعالى أن من يَصْلَى النار الكبرى لا يموت فيها ولا يحيا، جاء ذلك فى قوله: ﴿ **وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ** ﴾ (الأعلى:11-13).

بعض أنواع طعامهم:

١ ـ الزقوم:

هو ثمر يخرج من شجرة تنبت فى أصل الجحيم، مذاقه مر شديد المرارة، يغص فى الحلق فلا يسوغ إلا بالماء الحميم، ومن خواصه أنه يغلى فى البطن غليان الماء فهو شبيه بالجير، الذى إن صب عليه الماء فار وغلا، قال تعالى فى بيانه: ﴿ **أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ** ﴾ (الصافات:62،67). وقال: ﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ**[4] **يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ** ﴾ (الدخان:43،46).

---

(1) البخت: الإبل الخراسانية. (2) الحموة: سَوْرَة وشدة الألم.

(3) الحاكم وقال فيه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى (4/ 593).

(4) المهل: الزيت العكر أو الرصاص أو الفضة إذا أذيبت.

وقرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102).

وقال: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامهم؟»[1].

٢ ـ الغسلين:

وهو ما تجمع من عصارة أهل النار من قيح وصديد وعرق، وما يخرج من فروج الزناة، وما يسيل من لعاب شاربي الخمور، والمغتابين، والكذابين، وقائلي الباطل، وشاهدي الزور.

ورد ذكر الغسلين في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة: 35ـ37).

والمراد من الخاطئين الذين كسبوا السيئات فأحاطت بهم خطاياهم فدخلوا النار بذلك، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 81).

٣ ـ الضريع:

وهو شوك مر منتاه في المرارة، ينشب في الحلق، يسيغه الآكل بالحميم، فيسبب له إسهالاً فظيعاً، فلذا هو لا يسمن آكله، ولا يغنيه من جوع، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ (الغاشية: 6، 7).

بعض أنواع مشاربهم:

الشراب لازم لكل ذي كبد رطبة، وأهل النار ذوو أكباد، فلابد لهم من ماء يشربون، كما لابد لهم من طعام يأكلون؛ إذ الأكل والشرب ضروريان لبقاء الحياة، واستمرار نمائها، وقد قدر لأهل النار البقاء فيها، فلذا هم يأكلون ويشربون ولم يكن الأكل والشرب ليدفع عنهم غائلة الجوع والعطش، ولكن ليزيد في محنتهم وطول عذابهم، وقد سبق بيان بعض مآكلهم، وهذا بيان بعض مشاربهم:

---

(1) رواه الترمذي وصححه (صفة جهنم / 4)، وابن ماجه (زهد/ 38)، وأحمد (1/ 301، 338).

١- الحميم :

وهو ماء حار يجرى من عين آنية[1]، ومن خواصه أنه يصهر به ما فى بطونهم، ويقطع أمعاءهم، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (الغاشية: 2 ـ 5). وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد: 15). وقال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الحج: 19-22).

٢ ـ ماء الصديد:

وهو ماء كدر، يحوى كميات من الصديد، يُغص به شاربه حتى لا يكاد يسيغه، يعانى شاربه منه آلاماً لا يعلم مداها إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (إبراهيم: 15 ـ 17).

٣ ـ ماء المهل:

وهو ماء ثخين حار حتى لكأنه النحاس المذاب بحيث إذا أدناه أحدهم من فمه ليشربه، شوت حرارته جلدة وجهه، قال تعالى فيه: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: 29).

٤ ـ ماء نهر الغوطة:

وهو ماء متجمع مما يسيل من فروج الزوانى من النساء فقد روى أحمد بسند صحيح أن النبى ﷺ سئل عنه فقال: «**نهر يجرى من فروج المومسات يؤذى أهل النار ريح فروجهم**»[2]، هذا وننهى الكلام على مطاعم أهل النار ومشاربهم بحديث تفصيلى رواه الترمذى موقوفاً عن أبى الدرداء ؓ، حيث قد استعرضت فيه أحوال أهل النار بصورة وافية عجيبة، يقول: «**يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة، فيتذكرون أنهم يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب، فيدفع إليهم بكلاليب من الحديد، فإذا دنت**

(1) آنية: أى درجة حرارة الماء قد انتهت إلى ما لا مزيد عليه أبداً.

(2) أول هذا الحديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر، ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر .. إلخ»، أحمد (4/ 399).

من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا: بلى، قالوا: فادعوا، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال» قال: «فيقولون: ادعوا مالكاً، فيقولون: ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (الزخرف:77)، !!. قال: الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، قال: فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (المؤمنون:106-107)، قال: «فيجيبهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون:108)، قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون فى الزفير، والحسرة، والويل»[1].

فحش أجسام أهل النار وقبح منظرهم

ماذا عسى أن نقول فى فحش أجسام أهل النار وقبح منظرهم ؟ وهل فى الإمكان تصور ذلك فى الذهن، أو تصويره للناس ليدركوه، ويفهموا حقيقته لولا أن الوحى الإلهى الذى نطق به رسول الله ﷺ قد رسم لنا صورة واضحة نستشف من خلالها مدى فحش أجسام أهل النار وقبح منظرهم ؟ ولنستمع إلى كل من الشيخين يروى لنا حديثاً فى هذا الشأن يقول البخارى ومسلم فى صحيحه يقول الرسول ﷺ: «**ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**»[2] ويقول مسلم: قال رسول الله ﷺ: «**ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث**»[3]. ويقول أحمد بن حنبل فى مسنده: قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء[4]، ومقعده من النار كما بين قديد ومكة، وكثافة جسده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار ..»[5]، ويروى لنا أحمد وغيره بسند لا بأس به: «**أن الكافر ليجر لسانه يوم القيامة وراءه قدر فرسخين يتوطؤه الناس**»[6].

وما أحسب أن هناك منظراً أقبح من هذا المنظر، لولا ما أخبر به الله تبارك وتعالى عن كلوح أهل النار كقوله: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (المؤمنون: 104).

---

(1) الترمذى صفة جهنم (5).

(2) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان (3/ 293)، والبخارى (8/ 142)، ومسلم (8/ 154).

(3) مسلم (8/ 153، 154). (4) البيضاء: جبل.

(5) الجبار: ملك من ملوك اليمن له ذراع معروف المقدار، والحديث فى أحمد (1/ 334، 537).

(6) أحمد (2/ 92)، ورواه الترمذى (صفة جهنم/ 3) بلفظ: «**إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس**».

حيث فسر الرسول ﷺ ذلك بقوله: «**تتقلص شفةُ الكافر العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته**» روى هذا التفسير للكلوح عن رسول الله ﷺ أحمد والترمذى والحاكم رحمهم الله تعالى أجمعين(1).

تفاوت عذاب أهل النار

إن تفاوت العذاب بين أهل النار فى دار البوار ثابت مقطوع به، صرَّحت بذلك الأحاديث النبوية الصحاح، وهو تابع لتفاوت أعمالهم، وما كسبوا من خير وشر فى هذه الحياة الدنيا، كما هو مقتضى العدل الإلهى القاضى بأن تُجزى كل نفس بما عملت، لها ما كسبت من خير، وعليها ما اكتسبت من شر، وها هى ذى الأحاديث المصرحة بتفاوت أهل النار فى العذاب بحسب كسبهم الإرادى الاختيارى فى الحياة الدنيا، روى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه**»(2)، وخف عذاب أبى طالب إلى هذه الدرجة من أجل ما قدمه من خدمات للإسلام فى شخص نبيه محمد رسول الله ﷺ، كما روى البخارى قوله ﷺ: «**إن أهون أهل النار عذاباً رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل بالقمقم**»(3). كما روى مسلم أيضاً قوله ﷺ: «منهم ـ من أهل النار ـ من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجْزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»(4). وفى هذا أظهر دليل وأوضحه على تفاوت العذاب بين أهل النار.

بكاء أهل النار وعويلهم

إن العويل والبكاء من لوازم معاناة المخاوف والآلام، ومقاساة الشدائد والأهوال، ودار البوار وسكانها لا يبرحون يتجرعون الغصص ويتذوقون مر العذاب، حزنهم دائم، وعذابهم لا ينقطع ولا يخف، ومن هنا لا يستغرب منهم البكاء والعويل، ولا يستنكر عليهم الصياح والنواح، فهم يتضاغون فيها، ويصطرخون، يدعون بالويل، والحسرة، والثبور.

---

(1) الترمذى (جهنم/ 5)، أحمد (3/ 88). (2) مسلم (1/ 135).

(3) متفق عليه، واللفظ للبخارى (8/ 144)، واللؤلؤ والمرجان (1/ 53)، ومسلم (1/ 135، 136).

(4) رواه مسلم (8/ 150)، إلا أن قوله: «ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه» ليس فى هذه الرواية إنما هو فى أخرى لمسلم أيضاً فى نفس الجزء والصفحة.

وهذا القرآن الكريم يقص علينا بالحق ما سوف يدعون به ويقولون، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (الفرقان:13).

وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ (فاطر:37). وقال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (الأنبياء:100). وقال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ (الزمر:55، 56). وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان:27 ـ 29).

وأخيراً فقد روى الحاكم بسند صحَّحه عن النبى ﷺ قوله: «**إن أهل النار يبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم -يعنى مكان الدمع-**»[1]. فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك، وأجرنا من النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار.

البـــرزخ

تعريف:

البرزخ فى عرف اللغة: ما حجز بين شيئين، أو ما فصل بين ماهيتين، كاليابس من الأرض يكون بين بحرين، أو نهرين فاصلاً بينهما، وقد يكون فاصلاً بين ماهيتين كالحد الفاصل بين ماهية الإنسان والحيوان، وهو النطق أو الكلام مثلاً، وقد يكون حتى بين الشك واليقين.

وفى عرف الدين: البرزخ هو الحياة المجردة عن النعيم أو الشقاء الجثمانى التى تستقل فيها الروح عن الجسد، إذ الحيوات ثلاث:

الأولى: الحياة الدنيا، والتى تسعد أو تشقى فيها الأرواح مع الأجساد القائمة بها، والحالة فيها.

الثانية: حياة البرزخ، وهى الحياة التى تنفصل فيها الأرواح عن أجسادها التى كانت تعمرها، ويستقل فيها الروح عن الجسد بالنعيم أو العذاب، وسواء وجد لها فى العالم العلوى هياكل تناسبها فتحلّ فيها مؤقتاً، أو لا يوجد لها ذلك[2].

---

(1) الترغيب والترهيب (4/ 493)، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. ولم يخرجاه ووافقه الذهبى (4/ 593).

(2) فى هذه العبارة إشارة إلى ما صح عن النبى ﷺ وقد سئل عن حياة الشهداء التى أثبتها لهم القرآن فقال: «**أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة فى العرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل...**» مسلم (6/ 38، 39).

والثالثة: الحياة الآخرة، وهى التى تعود فيها الأرواح إلى أجسادها التى كانت لها فى الحياة الأولى، وانفصلت عنها بالموت، فالحياة الثانية بين الأولى والثالثة هى حياة البرزخ ؛ إذ هى حد فاصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهى عبارة عن عملية تربص وانتظار، والغرض منها: اجتماع الأرواح، وتكاملها استعداداً للدخول فى الحياة الآخرة، وذلك أن الحياة الأولى قامت على أساس الإيجاد المتلاحق، فيخلق اللّه تعالى الجسد والروح على طريقة معينة فى الخلق، فيعيش ذلك المخلوق عاملاً بما خُلق له زمناً معيناً، ثم تجرى له عملية انفصال الروح عن الجسد وهى ما يسمى بالموت فيموت، ويحفظ له عمله فى ديوان خاص ليجزى به فى الحياة الآخرة إن كان قد مُكّن من العمل ببلوغه من حياته زمن التكليف وهو سن الرشد ببلوغه عاقلاً وسميعاً، بصيراً، ولما كان الخلق فى الحياة الدنيا يأتى متلاحقاً جيلاً بعد جيل، هذا يُوجَد وذاك يعدم إلى أن ينتهى الخلق الذى قدر اللّه خلقه وإيجاده فى الحياة الدنيا، ويومها يحدث الانقلاب الكونى العظيم الذى تنتهى فيه حياة، وتبتدئ فيه أخرى.

أقول: إنه لما كان الخلق يجرى على ما ذكر، كان لابد من وجود حياة وسط بين الحياتين، تجتمع فيها الأرواح بعد انتهاء مهماتها التى خلقت لها فى الحياة الدنيا، وعندما يتكامل جمعها يعيد اللّه تعالى لها أجسادها التى كانت لها، ويبعثها فيها لتتلقى جزاءها فى الحياة الآخرة من نعيم أو جحيم. فالحياة الدنيا إذاً هى حياة عمل، والحياة الآخرة هى حياة جزاء، والحياة الوسط بين الحياتين هى حياة البرزخ، وهى حياة تربص وانتظار، قال اللّه تعالى تقريراً لمبدأ أن الحياة الأولى حياة عمل لا جزاء، وأن الحياة الآخرة حياة جزاء لا حياة عمل: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ (آل عمران: 185).

والسؤال الآن هو: هل فى حياة البرزخ ـ وهى حياة عَلمنا أنها تستقل فيها الأرواح عن الأبدان ـ من نعيم يجرى على الروح فتسعد به فترة تربصها، أو عذاب تشقى به مدة حبسها وانتظارها ؟؟

والجواب: نعم، وهذا بيانه مفصلاً.

مراحل جريان النعيم أو العذاب على الروح فى البرزخ

المرحلة الأولى عند الموت ونزع الروح:

إن نعيماً أو عذاباً يتم للروح عند نزعها بواسطة ملائكة رحمة أو عذاب كما جاءت الأخبار الصادقة الصحيحة بذلك ففى القرآن الكريم يقول اللّه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال: 50، 51). ويقول عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّع بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام: 93، 94). فقوله: ﴿بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ دال على أن الملائكة تعذب المحتضر الكافر أو الفاجر بضربه على وجهه وظهره، كما هو صريح قوله تعالى فى آية الأنفال المتقدمة: ﴿الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ هذا العذاب عند الموت، وحال النزع هو بالنسبة إلى ذى الروح الخبيث من أهل الكفر والإجرام، وأما بالنسبة إلى ذى الروح الطيبة الطاهرة من المؤمنين المتقين فقد قال الرسول ﷺ: «**إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ويجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها الروح الطيبة اخرجى إلى مغفرة من اللّه ورضوان، قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء**»..... الحديث.

وأما ذو الروح الخبيثة من الكافرين والمنافقين فقال عنه رسول اللّه ﷺ: «**وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من اللّه وغضبه، فتفرق فى جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول**» .. الحديث[1].

---

(1) رواه أحمد، قال المنذرى: رواته محتج بهم فى الصحيح، الترغيب والترهيب (4/ 366، 367)، وأحمد (4/ 288، 396، 5/ 136)، والفتح الربانى (7/ 74، 78)، ورواه النسائى بلفظ قريب من هذا (4/ 7،8)، ومعنى حنوط: طيب، وفى السقاء: فم القربة، والمسوح: ثياب خشنة، والسفود: الحديدة التى يشوى بها =

المرحلة الثانية: النعيم في القبر أو العذاب:

القبر أول منازل الحياة الثانية وهو العتبة للدار الآخرة، ويجرى فيه النعيم والعذاب على الروح والجسد معاً فى الساعات الأولى منه، ثم تستقل الروح بهما دون الجسد، إن نعيم القبر أو عذابه ثابت بالدليلين العقلى القياسى، والنقلى الشرعى الدينى، فالدليل العقلى هو عدم استحالته، وما لم يكن مستحيلاً فهو جائز؛ إذ ثبوت النعيم أو العذاب للميت فى القبر لا يوجب تصوره تناقضاً عقلياً. وثانياً: ما علمه كل إنسان، وعرفه من نفسه المرات العديدة من رؤى منامية يرى فيها نفسه فى نعيم كامل لا يؤسفه إلا أن ينقطع عنه بالاستيقاظ. أو عذاب شديد لا ينهيه عنه إلا استيقاظه، بل يبقى أثر الرؤيا فى نفس المرء فترة من الزمن خيراً كان أو شراً.

وأما الدليل النقلى الدينى فقد صح عن النبى ﷺ: «**إن ملك الموت إذا أخذ روح العبد المؤمن لم تدعها الملائكة فى يد ملك الموت طرفة عين حتى يأخذوها، ويضعوها فى ذلك الكفن، وذلك الحنوط** (تقدم الحديث عنهما) **ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض**»، ثم قال: «**فيصعدون بها فلا يمرون على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلانٌ ابنُ فلان بأحسن أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون لهَ، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول اللّه عز وجل: اكتبوا عبدى فى عليين (فى أعلى درجة فى الجنة)، وأعيدوه إلى الأرض فى جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربى اللّه، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول اللّه، وآمنت به، وصدقته، فينادى مناد من السماء: أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً فى الجنة، قال: فيأتيه من روحها ورائحتها وطيبها، ويفسح له فى قبره مد بصره**». قال: «**ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد ... فيقول: من أنت؟! فوجهك الوجه الحسن يجىء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى**»[1].

= اللحم، والمراد من سيل الروح كسيل القطرة من فىّ السقاء: كناية عن سهولة خروجها من جسد المؤمن. والمقصود بنزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول: كناية عن شدة وصعوبة خروجها من جسد الكافر والفاجر، والمراد من تفرق روح الكافر فى جسده: كناية عن شدة الخوف والفزع وكأنها تريد الهرب عند سماعها ذلك الكلام. والله أعلم.

(1) هذا اللفظ والذى سبق كلاهما حديث واحد، وقد تقدم أنه أخرجه أبو داود وأحمد، وأن رواة أحمد كلهم محتج بهم فى الصحيح كما قال الحافظ المنذرى. راجع ص (413).

وفيه أيضاً أنه قال: «**إن ملك الموت إذا أخذ روح العبد الكافر لم تدعها الملائكة في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح**[1]. وتخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له. وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ (الأعراف: 40).

فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، ثم تطرح روحه طرحاً، ثم قرأ ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ (الحج: 31).

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ فيقول: هاه هاه[2] لا أدري، قال: فيقولان له: ما دينك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فيقولان له: ما هذا الرجل الذي يبعث فيكم ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول له: أبشر[3] بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر ؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة، ثم يقيض له أعمى، أصم، أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة فيصير تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين». قال البراء: «**ثم يفتح له باب من النار، ويمهد له من فرش النار**». وصح عنه ﷺ أن اسم أحد الملكين يقال له: منكر، وأن اسم الثاني يقال له: نكير، وأنهما يثيران الأرض بأنيابهما، ويلجفان[4] الأرض بشفاههما، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيجلسانه .. الحديث»[5].

---

(1) المسوح: جمع مسح بكسر فسكون ثوب من شعر غليظ.

(2) كلمة (هاه، هاه) في صوت الضاحك وهي هنا التوجع والحيرة لعدم علمه بما يقول.

(3) كلمة «أبشر» هنا المراد بها التهكم والتوبيخ والتقريع والتهديد.

(4) يلجفان: يضربان الأرض بشفاههما، ويحفرانها بهما.

(5) رواه أحمد، وقال الحافظ المنذري: إسناده حسن. الترغيب والترهيب (4/ 369).

المرحلة الثالثة:

نعيم الروح أو عذابها وهو فى برزخ بعيد عن القبر، متصل به

إنه بعد انتهاء فترة القبر التى تتم فيها فتنة الإنسان، وبها ينكشف أمره، وتظهر حاله، فيسعد أو يشقى نتيجة لما يجيب به عن سؤال الملكين، حيث يثبّت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت، ويضل اللّه الظالمين.

بعد انتهاء الفترة هذه تودع الروح البشرية فى مستودع للرحمة أو العذاب فى عليين، أو فى سجين، وتبقى هكذا مرهونة محبوسة فى ذلك المستودع إلى يوم يبعثون، حيث يعيد اللّه تعالى الأجسام بعد فنائها ويأذن للأرواح أن تدخلها.

بيد أن للأرواح ـ سواء كانت فى عليين مستودع الأخيار، أو فى سجين مستودع الأشرار ـ اتصالاً مباشراً بالقبر الذى ضم رفات: صاحبها، وأودعت جثته فيه، وهو اتصال مباشر شبيه بالاتصال اللاسلكى الذى يتم اليوم بين محطتى الإرسال والاستقبال. وبذلك يتم معرفة الزائر للقبر، والمسلِّم على صاحبه(1)، بل ذلك الاتصال تجد الروح معه لذة النعيم، أو ألم الجحيم فى القبر، ولا يستثنى من هذه الحقيقة إلا أرواح الشهداء، فإن القرآن والسنة قد صرحا بأن أرواح الشهداء تكون بعد الاستشهاد فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ (آل عمران: 169، 170).

وقال رسوله ﷺ: «أرواحهم ـ الشهداء ـ فى جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل. فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ـ فقال: هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا: أى شىء نشتهى، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسامنا حتى نُقتل فى سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(2).

---

(1) روى ابن عبد البر وصححه عن ابن عباس مرفوعاً: «**ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد عليه روحه حتى يرد عليه السلام**»، وقد مر فى المطاعم والمشارب فى الجنة فليرجع إليه.

(2) مسلم (6/ 38، 39).